الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الأداب و الفنون

قسم اللغة العربية وآدبها

جامعة مستغانم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

في اللغة العربية و آدبها

حول موضوع:

المؤثرات الأجنبية في الأدب العـربـي

طـه حسـين - أنمـوذجـــا

من إعداد الطالبة:

بركات فاطمة

تحت إشراف الستاذ:

د.بلقاسم إبراهيم

السنة الجامعية: 2015 - 2016

تـــشـــــكــرات

بســم الله الرحـــمن الرحيـــم

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدلي يد العون و المساعدة في إنجاز هذا البحث المتواضع تحت إشراف الأستاذ "بلقاسم إبراهيم "و إلى كل من ساعدني في خط علمه على هذه الصفحة البيضاء طوال فترت تمد رسي.

إهداء

بســـم الله و الصـــلاة و السـلام على رســـول الله

فلكم يسرني بعد الانتهاء من هذه المذكرة أن أقدمها أو بالأحرى

تكون هدية متواضعة لكل من ساهم في بحثي هذا و لتكن مهداة

بوجه الخصوص إلي الوالدين العزيزين و عائلتي و كل الصديقات و

كل من يعرفني .

المقدمة:

يعتبر الأدب العربي القديم حقلا معرفيا واسعا من حقول الإبداع الإنساني الذي أعطى صورة واضحة عن بيئته و جذوره المستمدة منها و هذا لقيمته التاريخية والفنية التي أسالت مدادا كثيرة من أقلام الباحثين و الدارسين المحدثين فساحة المجال للمناقشة و الدرس نظرا لاختلاف مناهجهم النقدية في دراسة الشعر و رواده .

مما لا شك فيه أن المستشرقين قد و قفوا موقف الحائر المتعجب بإزاء كتب سيبويه و الجاحظ و ابن المقفع و ابن خلدون ،أشعار أبي العلاء المعري و غيره من الشعراء البارزين لما لمسوه فيهم من فصاحة و بلاغة و حسن البيان فعمد هؤلاء الباحثين إلى تسوية هذه القيمة بطرحهم لدراسات نقدية عدة تناولوا فيها هذا الأدب القديم .

يعد التأثير الأدبي من المفاهيم التي يوليها الأدب المقارن أهمية كبرى في مجالات بحثه المتعدد بما أنه يكشف عن مصادر النصوص بالنظر إلى وجود حس مشترك بينها و بين أعمال أدبية أخرى ، بغض النظر عن وجود صلات تاريخية تؤكد هذا الحس أو عدمها و للبحث في مجالي التأثير والتأثر ما يبرره؛ فهذا الحقل المعرفي يعد من أكثر حقول الأدب المقارن استقطابا للتنظير والإجراء، وقد افتك مكانته الإستراتيجية من مساهماته القيّمة في بناء صرح الدرس المقارن. وبالنظر إلى الأهمية التي تستحوذ عليها فكرة دراسة الآداب في علاقاتها الدولية الممكنة ارتأيت القيام بدراسة تناقش بعضا من تجليات النصوص الأدبية الأجنبية في الأدب العربي ، خاصة تلك التي فرضت حضورها بشكل أو بآخر على مستوى الكتابة الأدبية طه حسين من باب أن التأثير الأجنبي ممارسة جوهرية في أي عمل يطمح إلى العالمية، فضلا عن كون هذه الممارسة مطية لا بد منها في خلق إبداعي، يمنح النص الأدبي ولادة جديدة تؤهله لطرح إشكاليات فنية، وإيديولوجية لم يسبق له أن ناقشها على مستوى الكتابة.

لقد تناولت في موضوعي هذا أهم المحطات و المؤثرات الأجنبية في الأدب العربي مع الاعتماد على عميد الأدب العربي طه حسين ، ارتأيت أن أقسم بحثي هذا إلى ثلاثة فصول :

في المدخل تناولت مفهوم التأثير الأدبي المفهوم اللغوي و المفهوم الاصطلاحي ثم ذكرت أهم المؤثرات الأدبية في المنظور الدرس المقارن، المدرسة الفرنسية ثم المدرسة الأمريكية

ثم بدأت الفصل الأول بذكر أثر الأنواع الأدبية النثرية في أوربا في الأدب العربي الحديث مع التأكيد على المراحل التأثير الأجنبي و التأثر بالأفكار و الآراء ثم بعدها دخلت في صلب الموضوع من خلال دراسة ماهية الإستشراق فتطرقت إلى تعريفه ثم نشأته و بعدها ذكرت المستشرقون و مصادر ثقافته الفرنسية ثم طه حسين و المستشرقون و جامعة القاهرة و مجهوداته و احتكاكه بالمستشرقين .

و بعدها فصل الثاني الذي تطرقت إلى تعريف الترجمة في أوساط الشعوب الغربية و ثقافتها و تعمق صور التواصل بالثقافات الأجنبية و كانت مدعاة للإبداع و بعدها ذكرت جهود العرب في الترجمة ثم بعدها الترجمة عند طه حسين و بعدها منهجه في الترجمة من خلال أعماله و بعدها مباشرة الترجمة الأدبية و المؤثرات الأجنبية .

و في الأخير الفصل الثالث و هو التطبيق فتطرقت إلى حياة عميد الأدب العربي طه حسين فذكرت حياته ثقافته و أعماله و بعدها مبادئ الثورة الفرنسية ثم نظرة مختصرة عامة حول نتائج الثورة الفرنسية و بعدها أثر هذه الثورة الفرنسية في أدب طه حسين ثم تلخيص الرواية التي كان لها أثر بارز ثم بطاقة الفنية لهاته الرواية و بعدها و أخيرا أثر الثورة الفرنسية ..وفي الأخير تلقيت صعوبات و عتبات وقفت أمام بحثي و السبب يعود إلى قلة المراجع و المصادر كون ذلك لم يمنعني من الاجتهاد و مواصلة البحث و التنقيب للحصول على قدر كاف من المصادر و المراجع ثم استخلصت ما أمكن استخلاصه من نتاج كانت عصارة بحثي هدا .و هذا و إن كنت قد أخطأت فمن نفسي و إن أصبت فمن الله الكريم الحليم و الصلاة و السلام على حبيبنا محمد خير الأنام.

المـــــدخـــل

أصبح التفاعل مع الآخرين في جميع أنحاء العالم واقعا مفروضا، بحكم مساهمة الجميع في

التراث الإنساني، واغترافهم منه في الوقت نفسه، ولم تكن الآداب القومية بمعزل عن هذا التفاعل، فقد احتكت بالآداب العالمية، وتأثرت بها، ويعد الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية واحدا من هذه الآداب، فما طبيعة التأثير الذي تلقاه؟، وكيف انعكس ذلك على هويته الحضارية، وتشكيله الفني، والإيديولوجي؟.

المبحث الأول: التأثير الأدبي قراءة في المصطلح والمنهج :إن الاحتكاك بين الآداب، ينتج عنه أحيانا ما يسمى بالتأثير، وبغض النظر عن كونه متبادلا أم اولى، يبقى الإشكال مطروحا بشأنه، فماذا نعني بالتأثير؟، وما المجال المعرفي الذي يختص بدراسته؟، وكيف تُقرأ العالقات التي تتبادلها الآداب من وجهة نظره؟

مفهوم التأثير الأدبي :

أ. المفهوم اللغوي :

ورد ذكر لفظة "أثر" في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله سبحانه: "ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آَثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا"[1] ، وقوله تعالى:" وَآَثَارًا فِي الْأَرْضِ "[2] ، وقوله عزّ و جلّ و عزمن قائل: " فَانْظُرْ إِلَى آَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ".[3]

وجاء في معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم أن ذلك من " أَثَرِ الشيء حصول ما يدل على وجوده، يقال: أَثَر، وأَثّرَ، والجمع الآثار"[4].

[1]-سورة الحديد ، الآية : 26.
[2] -غافر ،الآية :21.
[3]-سورة الروم ، الآية : 50.
[4] - سميح عاطف الزيين ،معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ،ط 4 ، الدار الإفريقية العربية ، بيروت لبنان ،2001،ص:45

كما جاء في "لسان العرب" لابن منظور، أن التأثير كمصطلح بصيغه المتعددة نابع من وجود أثر ما للدلالة عليه، و" الأثر بقية الشيء، والجمع آثار، وأُثور، وخرجت في إِثْره، وفي أَثَّره؛ أي بعده، وأثرته، وتأثره؛ تتبعت أثره... والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأَثَّرَ في الشيء ترك فيه أَثَرًا، والآثار العالم، والأثيرة من الدوابّ العظيمة الأثر في الأرض بخفها أَو حافرها بيّنة الإثارة"[1]

فبقية الشيء أثره بغض النظر عن التغيير الذي لحق به، فلم يبق منه إلا ما ذُكر، والخروج في إثره؛ أي بعده بمعنى أن الأثر يقع عقب الفعل، ويأتي بعده، ونتتبعه بالسير في دربه لنتنين أمره، وندرك كنهه، وهو غاية الباحث عنه، وحجة مسعاه.

والتأثير في الشيء من إبقاء الأثر، وتركه فيه للدلالة على وجوده، ومنه التأثير في النص؛ أي عالمة انفتاحه، وما يستدل به على الأخذ الذي يعد مرجعا من مرجعياته بالنظر إلى طبيعة السياق الذي ورد فيه، وأنماط تجليه عبره . فالتأثير بمعانيه اللغوية الواسعة يحيلنا على وجود أثر لا يظهر جليا إلا إذا تعقبنها، وبذلك نكون قد سرنا في سبيل الكشف عنه للتأكد من وجوده، بغض النظر عن وضوحه أو غموضه.

ب. **المفهوم الاصطلاحي :**

التأثير في اصطلاح بعض الدارسين فعل انتقائي، واختياري ينشد التغيير، والحفاظ على الجوهر في الآن ذاته، كما أنه لفظ يوحي بأن العمل الأدبي عبارة عن محصلة جملة من العناصر أو الشروط المتلاقية، ولذلك صلة بألفاظ أخرى كالعالقات، والمنابع، والشهرة، والإشعاع التي تشير إلى المعنى ذات[2]

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ط1 دار للطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان،2005،ص:52.

[2] - ينظر مانفريد شتايقر ، الأدب المقارن و جمالية الاستقبال،ترجمة ، عبد القادر بوزيدة مجلة الثقافة ،ع 19 أفريل 2009،الجزائر ، ص:28.

والتأثير قرين الانفتاح على الآداب المختلفة، بغية الإفادة من نماذج النضج فيها، ونقيض فكرة الانعزال التي قد تتبادر إلى أذهان البعض بسبب تعصبهم للأدب القوميّ، أو بسبب الاعتقاد بأن التأثر إنما يكشف عن ضعفِ الأدب المتأثر وتخلفِه، في حين أثبت التاريخ أن الآداب على اختلافها تتراجع عبر مراحل تطورها، ثم تتخطى ذلك بالتفاعل مع غيرها من الآداب .

ويمكن اعتبار التأثيرات حركة أنطولوجية تستهدف بكينونتها الحفاظ على حس مشترك، وكليات إنسانية تتفاوت قيمها عبر العصور، والفضاءات » ، وحجة ذلك أن النصوص الأدبية تحيلنا فعال على عالقات تتعدى حدود انتمائها الأدبي، وهذا ما أشار إليه دانيال هنري بجو بقوله:" كل نص يتشكل كفسيفساء من الإستشهادات، وكل نص هو امتصاص، وتحويل لنص أو لنصوص أخرى " [1].

وهذا القول يعطينا سببا إضافيا لاستحالة العزلة على مستوى النصوص، وبالتالي على مستوى الآداب، ما دام كل نص تربطه علاقات تناص مع نصوص أخرى تختلف عنه من حيث المرجعية الثقافية، والتركيب الفني والأدبي، والانتماء اللغوي والقومي، والفترة الزمنية، وكل نص يسعى إلى تحقيق جمالياته التي تستمد أصولها من المحاكاة «التي تعمل كتذكر مبهم، أو اقتباس، أو تكرار، أو معرفة نصية. "[2].

وهناك بعض المصطلحات التي قد يوحي ظاهرها بأنها تفيد معنى التأثير، لكن بالنظر إلى جوهرها تظهر لنا الفروق، وبدرجات متفاوتة، وهي تأخذ شكل ثنائيات أحيانا، فعندما نذكر مصطلحا ما فإذا بآخر يخطر ببالنا، كالموازنة والمقارنة، والسرقة والاقتباس، والأصالة والتقليد، والشهرة والانتشار ، لكن هل لها صلة بالتأثير فعال؟.

---

[1] - سعيد علوش،إشكالية التيارات و التأثيرات الأدبية في الو طن العربي-دراسة مقارنة ط1،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،1986،ص121.

[2]- المرجع السابق سعيد علوش، إشكالية التيارات الأدبية والتأثيرات في الوطن العربي،ص:122.

لا تتخطى الموازنة مجال الأدب القومي الواحد الناطق بلغة واحدة، وعادة ما يكون إجراء مثل هذه الموازنات من اختصاص الأدب القوميّ، وهذه الموازنات مهما كانت طبيعتها، فإنها تبقى محدودة القيمة، والمجال، والأفق أيضا، حيث تقتصر على رصد تطور ملكات الكتاب بالنظر إلى من عاصرهم، أو سبقهم من أبناء قومهم الناطقين بلغتهم[1] ، والموازنة بهذا المفهوم تكون بعيدة كل البعد عن اهتمامات الأدب المقارن الذي يتعامل مع الآداب على اختلاف لغاتها .

أما المقارنة فتُعقد بين أدب وآخر، أو بين أدباء كتبوا في اللون الأدبي ذاته، لكنهم على اختلاف فيما بينهم من حيث اللغة، والقومية، والثقافة، وحتى الحدود الجغرافية، والسياسية ففي المقام الأول ليس هناك من موازاة جيّدة إلا إذا كانت ممتدة، متسعة، لقد عالق كل من هيرودوت، وبل وتارك، وستا ندال عناصر أجنبية يبعضها البعض، ثقافات متنافسة، تقاليد متضادة، عبقريات فردية أو قومية متمايزة، إنّ هذا الشرط ضروري لكي نرتقي من المقار نية إلى "علم المقارنة " ... فبالإضافة إلى كون مقارنات المقارنين يجب ألا تظل حبيسة الأحادية القومية، تُطرح هنا مسألة التمييز بين مقارنيه عقيمة، ومقارنيه خصبة "[2]

ومع ذلك لا يكفي المرء أن يتجاوز أبعد الحدود زمانا، ومكانا، وحضارة، وأعراقا ويقصد ذلك قصدا، ليسلك منهجا للمقارنة، فعمله هذا ظاهره سليم، لكن باطنه عقيم فالمقارنة الخصبة لا تكون كذلك إلا إذا انتهت إلى عالقات تأثير وتأثر واعية، وفعلية تتم 3بين نصين أو أكثر ، وقد حظي هذا الشرط بالاحترام، بل شكّل مرتكزا من مرتكزات واحدة من أشهر مدارس الأدب المقارن، ألا وهي المدرسة الفرنسية التي ظلت تعمل وفقه لفترة طويلة من الزمن .

---

[1]- ريمون طحان الأدب المقارن بين المقاربة و المطارحة أعمال الملتقى الأول للمقارنين حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح والمنهج ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1991 ص:08.

[2] - فرنسيس كلود ون،كارين حداد فولتينغ،الوجيز في الأدب المقارن تر عبد القادر بوزيدة،دار الحكمة،الجزائر2002،ص:14-18.

وقد نبحث عن مصادر العمل الأدبي خارج فضاءاته، نظرا لوجود حس مشترك تؤكده صالت تاريخية، أو تشابه يكون وليد صدفة مهّدت لها مواضعات في ثقافة المؤلف، وقد يُجري المقارن مقارنة بين نصين بعد اكتشافه لوجود عناصر تشابه أو اختلاف دالة على تأثير وتأثر، وفي سياق ذلك يكون الدارس بصدد مقارنة ثنائية، كعقد مقارنة بين شعر الموشحات والزجال الأندلسية، وشعر التروبادور الأوروبي، لوجود صلة بينهما، لا تُفسر بتأثر هذا الأخير بسابقه شكلا ومضمونا، ولم يكن هذا التشابه ليحظى بالاهتمام لو لم يكن هناك اتصال تاريخيّ يؤكده

وفي غياب هذا الاتصال التاريخيّ يصعب تفسير التشابه الأدبي بين نصين على أنه وليد التأثير، سواء كان قويا أو ضعيفا، وفي حالة كهذه قد يحضر نص ثالث يستوعب نصين معا، ويكون القاسم المشترك بينهما، وفي سياق ذلك يكون المقارن بصدد مقارنة

ثلاثية كتشابه الكوميديا الإلهية للكاتب الإيطالي" دانني اليجيري[1] "، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري، لوجود نص شعبي أندلسي أثّر فيهما، ويتمثل في قصة "المعراج المحمدي".[2]

وحالات التشابه كثيرة في الآداب، وتكاد تستعصي على الحصر، والتشابه ليس تطابقا كليا، وال يعني بالضرورة أن يأخذ اللاحق عن السابق، لذا فالمقابلة بين نصوص متشابهة تستدعي إثبات الاتصال التاريخي فيما بينها، أما المقابلة بين نصوص شديدة التخالف، فهي غاية في الصعوبة، وال تفلت من قبضة الغموض، الأمر الذي يتطلب معرفة تاريخية جيدة تُمكن المقارن من الخوض في مقابلات من هذا النوع .

[1] - دانتي اليجيري(1265-1321)شاعر إيطالي شهير،و لد بفلورنسا،و تلتقي تعليما مشبعا بالأفكار الكلاسيكية و النصرانية،من أعمال الملحمة الشعرية الشهيرة"الكوميديا الإلهية" التي بدأ كتابتها في عام 1308،حيث ناقش خلالها موضوع الحياة بعد الموت، وله مؤلف أخر بعنوان "الحياة الجديدة" المشتمل على 31 قطعة شعرية مرفقة بتعليق نثري .

ينظر:الموسوعة العربية العالمية، ط2،ج 10 مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع،الرياض، المملكة العربية السعودية، 1999،ص:238-239.

[2] -المرجع السابق، سليم حيولة،ص:222.

والأدب القومي إنما ينمو في بيئته، لذا فهو يعكس أجواءها الاجتماعية، والدينية، وحتى النفسية، والعقلية، لكنه في الآن ذاته يتواصل مع آداب الأمم الأخرى عبر مستويات عديدة، متمثلا في ما تبدعه ملكات أدبائها، ومفكريها، لذا تضاربت الآراء بشأن أصالة الأدب القومي فهناك من يرى أنها: " تقتضي احترام القيمة الخاصة للمجتمع، وللثقافة التي أوجدتها، وتركتها تتطور ". [1]

وهناك من يرى في محاكاة الآخرين أصالة،" فالتاريخ يشهد بأنه لم يكن للأدب اللاتيني من أصالة تذكر، وظل كذلك حتى امتزج بالفكر اليوناني أدبا، وفلسفة، ثم ما كان لذلك من ثمرة في ازدهار الأدب الروماني عندما أخذ يتمثل تلك الثقافة،و يحاول محاكاتها، والسير على منوالها ".[2]

والتأثر بالآداب الأخرى لا يفقد الأدب القومي أصالته، وخصوصيته، فالأصالة مرهونة بشرطين هما الإفادة المثمرة من تجارب الآخرين، فال يبقى المرء في حدود ذاته هذا من جهة، والحفاظ على اللمسة الخاصة بالمؤلف، المرتبطة أساسا بانتمائه القومي من جهة أخرى .

وهذا ما أكده غنيمي هلال بقوله:" فمحور التأثر هو الأصالة، أصالة الأفراد، وأصالة القومية، وبها تتحقق المحاكاة الرشيدة المثمرة، والخطر كل الخطر في التقليد الأعمى الذي ينحرف بالتجديد، ويضل طريقه السوي، فالأصالة الحق ليست هي بقاء المرء في حدود ذاته، وليست هي إباء التجاوب مع العالم الخارجي، لكي يظل المرء.

---

[1] مشال بربو، التمييزية و الاختبارات المنهجية في التحليل الأدبي ،تر،عمار رجال،أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب-المصطلح و المنهج،ص:125.

[2] - محمد زكي العشماوي دراسات في النقد المسرحي و الأدب المقارن ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان،1983،ص:13.

دون تغير، أو تحوير، ولكن الأصالة الحق هي القدرة على الإفادة من مظلان الإفادة الخارجة عن نطاق الذات، حتى يتسنى الارتقاء بالذات عن طريق تنمية إمكانياتها، وال

يستطيع امرؤ أن يصقل نفسه، وال أن يبلغ أقصى ما يتيسر له من كمال، ذهنه بأفكار الآخرين، وبالأخذ المفيد من آرائهم، ودعواتهم".[1]

فالكاتب الأصيل، مبدع حقيقي؛ ألنه يهضم التقاليد الفنية لدى الآخرين، ويفعّل حضورها في أدبه، وانطلاقا منها يقوم بابتكار كيانات جديدة، يطبعها بطابعه القومي الخاص؛ أي أن:" التأثير الرشيد لا يمحو الطابع المحلي، وال يطغى على الأصالة القومية، وال ينال من قدر الكاتب، ومقدرته".[2]

بل على العكس فقد يساعد الكاتب على تقديم نماذج أدبية تمزج بين الأصالة، والعالمية .

لكن الأخذ من الآداب الأخرى ليس بالبساطة التي يتخيلها البعض، فالآخذ ملزم بمعرفة المعطيات الجوهرية في أدبه القومي، وبناءً عليها تتحدد اختياراته الواعية؛ حيث يأخذ من الآخرين ما يثري به أدبه دون أن يطغى هذا الأخذ على أصول لغته القومية وتراثها، وكذا طاقاتها التعبيرية، وإلا فسيقدم نصا يفتقر لهوية محددة، والحذر من مطب كهذا أمر ضروري، لكي لا يفقد الكاتب شخصيته الأدبية، ويذوب في غيره، بسبب الإعجاب المفرط بالآداب الأجنبية، " فكلما كان حجم التأثير كبيرا قلّت أصالة المتأثر "[3] .

وهذا هو المعيار الذي تبنّته الدراسات الأدبية المقارنة، في الحكم على مدى أصالة المتأثر أو عدمها .

[1] - محمد غنيمي هلال ،دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب المعاصر، نهضة مصر للطباعة والنشر و التوزيع ، مصر 1992،ص:29.

[2] - محمد غيمي هلال، في النقد التطبيقي و المقارن نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع بمصر 2003 ص:14.

[3] - صغور أحلام واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي إشراف د شريفي عبد الواحد جامعة و هران السنة الجامعية 2008-2009 ص:125.

والنجاح الكبير الذي تحققه الأعمال الأدبية يثير في البعض الرغبة في تقليدها، ويجب أن نميز بين التقليد، والانتشار، والنجاح، والتأثير؛ ألن " أكثر الكتب بيعا، هو كتاب ناجح، لكن

تأثيره الأدبي قد يكون معدما، فشعر في فرنسا كان انتشاره ضئيلا، لكنه ألهم شعراء أجانب كثيرين، ودراسة انتشار أثره، وتقليدياته، ونجاحه عملية صبر، ومنهج، أما استقصاء تأثيره فعملية أدق "[1]

والتقليد يتعلق بنقل تفاصيل مادية تخص البناء الفني من أساليب، واستعارات، أما التأثير فهو ناتج عن نقل يكون أقل مادية، إذ يفرض مبدئيا تغيرا على مستوى الصياغة وحتى على مستوى المضمون، وهذا ما يجعله يستعصي على التحديد، لكونه يتسرب إلى العمل الأدبي، ويمتزج وإياه، بل قد يعدّل الشخصية الإبداعية لمؤلفه، وأحيانا قد يدفعها إلى نقيض ما كانت عليه، فتقدم لنا طرحا مختلفا عن السائد، المتعارف عليه .

والتأثير تقليد الشعوري؛ فال ينتبه الكاتب إلى موقعه كمؤثر، وال ينتبه القارئ إلى موقعه كمتأثر، أما التقليد فهو تأثير شعوري يمارسه الأتباع من الأدباء في إطار المدارس الأدبية، والمذاهب الفكرية؛ حفاظا على ولائهم لها، وإذا كان التقليد شديدا سافرا فإنه يصبح سرقة معلنة؛ أنه لا يتعدى كونه نقال آليا، وبما أن شخصيته غائبة تماما عن هذا العمل، فهو لا يملك منه سوى اسم نسبه إليه عنوة، لذا استحق أن يكون سارقا ال كاتبا .

ودراسة ظواهر التأثير والتأثر هي من اختصاص الأدب المقارن، وللأدب المقارن تعار يف متعددة، تتفق أحيانا، وتختلف أحيانا أخرى، ولعل الأقرب إلى التوفيق فيما بينها ذلك القائل: " الأدب المقارن هو الفن المنهجي، الذي يبحث عن عالقات التماثل، والقرابة، والتأثير، وتقريب

---

[1] - ماريوس فرنسوا قويار،الأدب المقارن تر.هنري زغيب ،منشورات عويدات بيروت لبنان 1978 ص:25.

الأدب من الأشكال المعرفية، والتعبيرية الأخرى، أو تقريب الأعمال والنصوص الأدبية من بعضها، بعيدة كانت في الزمن، أو في الفضاء، شرط أن تنتسب إلى لغات متعددة،

أو ثقافات مختلفة، وإن كانت جزءً من تراث واحد، وذلك من أجل وصفها، وفهمها، وتذوقها بشكل أفضل ".[1]

حدد هذا التعريف مجالات البحث في الأدب المقارن، والمتمثلة في العالقات بين الآداب على اختلافها اللغوي والثقافي، سواء ما تعلق منها بالتشابه أو التأثير، كما أشار إلى أهدافه، ومساعيه المتمثلة أساسا في تحقيق التقارب على مستوى الآداب، أو بين هذه الأخيرة وغيرها من المعارف، معتمدا في التعامل معها تقنيات تحليل مختلفة كالوصف، والتذوق، والفهم، وغير ذلك.

عن الآفاق البعيدة للأدب المقارن، فتتمثل في جعل هذا التقارب يمتد إلى الشعوب والأمم، فتصبح أكثر تفاهما، وانسجاما، وأقل تعصبا وتنافرا بجعل كل شعب يطلع على آداب الآخرين، ويتبين ما هو أصيل لديه، وما أخذه عنهم، ويكتشف عاداتهم وتقاليدهم، وطرق تفكيرهم [2]؛ أي أن يتعرف عليهم بكل ما تحمله الكلمة من معاني.

المؤثرات الأدبية من منظور الدرس المقارن:

شهدت الدراسات المقارنة جملة من التحولات على مستوى التنظير بالقياس إلى التصورات المنهجية التي اقترحتها مدارس الأدب المقارن، تبعا لأساليبها في فهم الظاهرة

[1] - بيير بروني،كلود بيشوا،أندريه ميشيل روسو، ما الأدب المقارن؟ترجمة غسان السيد منشورات دار علاء الدين دمشق سوريا (د.ت.ط) ص:172.
[2]- الطاهر لأحمد مكي، في الأدب المقارن دراسات نظرية و تطبيقية، ط5، مكتبة الآداب القاهرة، مصر 200 ص:07.

الأدبية، وهي على قدر كبير من تخالف في آرائها، وآليات تحليلها لهذه الظاهرة في علاقاتها الأدبية المختلفة ن منظور الدرس المقارن :شهدت الدراسات الأدبية المقارنة جملة من التحولات على مستوى التنظير بالقياس إلى التصورات المنهجية التي اقترحتها مدارس الأدب المقارن، تبعا لأساليبها في فهم الظاهرة الأدبية، وهي على قدر كبير من إختلاف في آرائها،

وآليات تحليلها لهذه الظاهرة في علاقاتها الأدبية المختلفة على الصعيد الدولي، فما فحوى هذه التصورات؟ وهل هناك مجال للتوفيق فيما بينها؟.

أ- المدرسة الفرنسية :

يعد المنهج التاريخي من أهم مرتكزات المدرسة الفرنسية، ولهذا اعتبرت الصلة التاريخية شرطا ضروريا في تحديد المواضيع التي تصلح للمقارنة، فكل أدب يربطه اتصال تاريخي بأدب آخر هو من الأدب المقارن، وما خالف ذلك لا يصلح للمقارنة، وبذلك يكون الأدب المقارن فرعا من فروع تاريخ الأدب، ذلك " أن انتقال مادة أدبية من أدب إلى أدب قومي آخر ليس مسألة عشوائية، بل هو عالقة تاريخية قائمة على السببية، وهذا ما على الأدب المقارن أن يبرهن عليه بصورة لا تقبل الجدال؛ أي أن يبين مصدر التأثر، وواسطته، ونتائجه ".[1]

ويقول بول فان تيغم موضحا رأيه في المقارنة:" والمقارنة كما نفهمها، تعني تقريب الأحداث المقتبسة من جماعات مختلفة، وبعيدة غالبا، لتستخرج منها قواعد عامة، أما فيما يتعلق بمؤلفات الأدبية، فإنها تعني الجمع والمقابلة بين الكتب، والنماذج، والمشاهد، والصفحات المتشابهة، للوقوف على ما فيها من مجانسات أو مطابقات ،دون أي هدف آخر سوى إثارة الفضول الأدبي، للتنعم بجماله ولذته، وأحيانا إصدار حكم للتفضيل يقود إلى نوع من الترتيب

[1] - عبده عبود،الأدب المقارن مشكلات آفاق منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا 1999 ص:28.

وفق القيم، وتكون المقارنة إذا ما استعملت على هذا النحو، بمثابة رياضة فكرية مهمة و مفيدة جدا

في تكوين الذوق والتفكير، دون أن يكون لها أية قيمة تاريخية، إذْ أنها لا تساعد لوحدها على التقدم بالتاريخ الأدبي ولو خطوة واحدة؛ إن التاريخ الأدبي الحقيقي، هو جمع أكبر عدد

ممكن من الأحداث المختلفة المصادر، بغية شرح كل منها شرحا وافيا، وتوسيع أسس المعرفة بغية الحصول على أسباب، وبواعث أكثر عددا من النتائج"[1].

ولهذا تعمل المدرسة الفرنسية على إقصاء تلك المقارنات التي لا تحتكم إلى مرجعية تاريخية تدل على التأثير المتبادل بين الآداب، حتى وإن كانت أوجه التشابه فيما بين طرفي المقارنة كثيرة وظاهرة للعيان، وبناءً على ذلك عرّف غويار هذا الاختصاص على أنه:" تاريخ العالقات الأدبية الدولية "[2] ، معنى ذلك أن الباحث المقارن مطالب بتجاوز الحدود اللغوية والوطنية في رصده، وتتبعه للمبادلات الأدبية على مستوى المواضيع، والأفكار، والأساليب بين أدبين أو أكثر، مع مراعاة المرجعية التاريخية لهذه المبادلات .

أما الموازنات التي تقام داخل الأدب القومي الواحد، فحتى وإن أكدتها صالت تاريخية، فإنها تُستبعد من مجال الدرس المقارن؛ ألنها تخدم تاريخ الأدب القومي، في حين تتعارض والطبيعة الدولية، والعالمية للأدب المقارن.

والاتصال التاريخي يمكن إثباته اعتمادا على المؤلفات التي تشير صراحة إلى أن هذا الاتصال قد حدث فعال؛ ألن أدباء هذه الأمة كانوا على دراية بلغة أمة أخرى، فأجادوها إلى حد

[1] - بول فان تيغم،الأدب المقارن ترجمة الحسامي سامي مصباح منشورات المكتبة المصرية صيدا،بيروت، لبنان (د.ت.ط.)،ص":19.

[2] - المرجع السابق،ماريوس فرانسوا غويار،ص:07.

الكتابة بها، وال يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إن معرفتهم لهذه اللغة تمكنهم أيضا من الطالع على أدبها .

وللكشف عن المؤثرات الأدبية أهمية كبرى؛ ألنها تدخل في تشكيل العمل الأدبي، وال يمكنه الاستغناء عنها، وإذا ما تيسر لنا هذا الكشف سنفهم الظاهرة الأدبية على النحو الصحيح، كما ستتبين قضايا، ومسائل أخرى لا تقل أهمية، كأن نتحرى مدى أصالة الأدباء في تأثرهم، وأن نقف عند الفروق الجوهرية فيما بينهم .

ب -المدرسة الأمريكية :

أما المدرسة الأمريكية فتأسست على اعتبارين، الأول ذو طابع تاريخي، فالحضارة الأمريكية حديثة النشأة، وذات تركيبة خاصة؛ إذ تشكلها العديد من الجنسيات، والثقافات الأوروبية، الأمر الذي دفع هذه المدرسة إلى الانفتاح على العالم، واحترام الإنجازات الأدبية الأجنبية، والثاني ذو طبيعة ثقافية، يتجلى من خلال بحث المفهوم الأمريكي المقارن عن هوية ثقافية ذات طابع منهجي، ومعرفي يدور في فلك القرن العشرين، بدال من المعطى التاريخي، والوصفي الذي ساد في القرن التاسع عشر، واكتسح الدراسات الأوروبية، واعتمادا على هذين الاعتبارين اكتسبت المدرسة الأمريكية شخصية مقارنة قوية، وجريئة في طرحها؛ إطلاعها على المنجز الأوروبي في مجال الدراسات الأدبية المقارنة، ووقوفها على نقاط الضعف فيه، وهكذا تجاوزت ما كان متعارفا عليه.[1]

لقد وسّع المفهوم الأمريكي مجال الأدب المقارن بتجاهله شرط الصلة التاريخية المؤكدة، فهو يدرس عالقات التشابه بين الآداب على اختلافها، والتشابه كافٍ لعقد مقارنات، حتى وإن لم يكن هناك تأثير يستند إلى اتصال تاريخي مثبت، فهذه المدرسة تحلل النص بمعزل عن مرجعياته

[1] - سعيد علوش ،مدارس الأدب المقارن،دراسة منهجية،ط1،المركز الثقافي العربي،للدار البيضاء المغرب،1978 ، ص:94.

التاريخية، بالقدر الذي يقتضيه إدراك النصوص في علاقاتها الممكنة، وليس بالقدر الذي يقتضيه القصد إلى إثبات التأثير.[1]

فاهتمامات المقارن الفرنسي من منظور المقارنة الأمريكية قد انحرفت عن المسار الصحيح؛ إن عنايتها ببواعث التأثير طغت على عنايتها بالتأثير في حد ذاته، وهذا ما قادها إلى البحث في الملابسات التاريخية، والاجتماعية للنصوص .

وبفضل المدرسة الأمريكية لم يكن الأدب المقارن بمعزل عن ذلك التحول الجذري الذي شهده الفكر النقدي، على يد الشكلانيون الروسية، وتيار النقد الجديد، والبنيوية، وما بعدها، حيث انتقلت المقاربة النقدية من خارج النص إلى داخله، أي من سياقه إلى نسقه، وقد اعتمدت المدرسة الأمريكية هذا التوجه الأخير، إذ اهتمت بدراسة العالقات بين النصوص المختلفة على مستوى بُناها الداخلية، وهذا ما جعلها تُعنى كثيرا بأدبية الأدب، أي تلك السمات التي تجعل من الأدب أدبا، وتساعد على فهم جوهره، وبذلك تكون هذه المدرسة قد أحلت العالقات ذات القيم الداخلية محل العالقات السببية الخارجية التي تُبعدنا أكثر فأكثر عن هذا الجوهر، ولهذا رفض ويليك(René Wellek)[2] المنهج الفرنسي التقليدي، وسعى إلى التأسيس لمنهج قادر على التعامل مع أدبية الأدب.

وهكذا تحدد هدف المدرسة الأمريكية المتمثل في مقاربة العمل الأدبي في حد ذاته، بغية بلوغ بنيته الفنية، والجمالية، وليس ما ينطوي عليه من مؤثرات أجنبية، وما تمارسه من

---

[1] - المرجع السابق، ص:126.

[2]- رينيه ويليك (1903-1995) ناقد، مؤرخ أدبي أمريكي من أصل سلافي،ولد في فيينا ،ودرس الأدب الإنجليزي و الألماني بجامعة تشارلز في مدينة براغ نال درجة الدكتوراه سنة 1926 عن رسالة حول الكاتب الإنجليزي توماس كارلابيل و الرومانسية و كان وليليك الأثر الأعمق في تطور النقد الأدبي المرجع السابق الموسوعة العربية العالمية ج 27،ص:264.

تأثيرات على الآداب الأخرى، لكن هذا الاهتمام بأدبية الأدب سرعان ما تراجع دون الانتباه إلى ذلك، خصوصا في عقد مقارنات بين الآداب، وفنون المعرفة الأخرى، إذ لكل طرف ماهيته، وطبيعته الخاصة، خالف المقارنات التي تُعنى بالأدب وال تتعداه .

أما المدرسة الفرنسية فقد تجاهلت أدبية الأدب بل غيّبتها تماما، وحجة ذلك ما قاله بول فان تيغم: " ومجمل القول، أن لفظة المقارنة يجب أن تُعرّى من كل معنى جمالي، وأن تأخذ معنًى تاريخيا فقط، وأن الوقوف على أوجه الشبه، والمخالفات من خلال كتابين اثنين أو أكثر، أو من المشاهد، والمواضيع في لغات مختلفة، ليس سوى نقطة انطلاق ضرورية من

شأنها أن تسمح باكتشاف بواعث التأثير، وآثار الاقتباس... وبالتالي الشرح الجزئي لمؤلَف بمؤلَف آخر"[1].

وهذه المقارنات التي تهتم بإشكاليات خارجية بالنسبة للآداب، كأن تدرس المصادر، وتتقصى التأثيرات، والشهرة، والانتشار، وتتتبع الترجمات، والمحاكاة، كما ترصد المرجعيات التاريخية للظاهرة الأدبية فيما يتعلق بانتقالها، وانتشارها، في حين أنها لا تلتفت إلى الأدب كفن، وكتركيبة معقدة بالتحليل، والحكم [2]، قد ضيقت أفق البحث في الأدب المقارن، وحدّت من جدواه، كما جعلت المقارن مؤرخا للآداب القومية، ومفسرا لها عبر مسارها التاريخي .

[1] - المرجع السابق،بول فان تيغم،ص:19.

[2] - أوستن وارين ورينيه ويليك،نظرية الأدب،تر.صبحي محي الدين،مراجعة الخطيب حسام،ط2،المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت لبنان،1981 ص:51.

لكن البعض قد يعترض على إفادة الأدب المقارن من مقولات النقد الأدبي، وتاريخ الأدب، بحجة أن الأدب المقارن قد سعى جاهدا منذ بداياته إلى تحقيق استقلاليته عن باقي مجالات المعرفة الأدبية الأخرى، فهل إفادته من مقاولتها يفقده خصوصيته؟

" إن رينيه ويليك لا يخشى اعتراضا كهذا، فالنقد الأدبي يجب أن يكون مقارنا، يتجاوز الحدود اللغوية والقومية للآداب، والأدب المقارن يجب أن يكون نقديا يقارب النصوص الأدبية كبني جمالية، لا كمؤثرات، ووسائط، عندئذ يصبح الأدب المقارن نقدا، ويصبح النقد أدبا مقارنا، وتزول تلك الحواجز المصطنعة التي أقيمت بين الأدب المقارن، والنقد الأدبي؛ فالأدب يتجاوز بطبيعة الحال حدود اللغات، لذلك لا يجوز أن يُقارب إلا بصورة نقدية، إن الأدب المقارن الحق هو في جوهره نقد أدبي، والنقد الأدبي الحق هو في جوهره أدب مقارن، وهكذا أعاد رينيه ويليك اللُحمة إلى عالقة الأدب المقارن بالنقد الأدبي، ووصل ما قُطع بصورة تعسفية" [1].

لكن الأمر قد لا يسلم من المخاطرة، فطرح كهذا يُذيب الأدب المقارن في النقد الأدبي، ويفقده خصوصيته كمنهج، ونحن لا ننكر ما عرضه ويليك، لكننا لا نوافقه على المبالغة، فصلة الأدب المقارن بالنقد الأدبي موجودة فعال؛ وكل واحد منهما قادر على إثراء الآخر تنظيرا وتطبيقا، لكن القول بأنهما يمثلان طرفا واحدا، أمر غير مقبول؛ ألنه يُقصي تلك الفروق الجوهرية التي تميز الواحد منهما عن الآخر، فالتداخل شيء والتطابق شيء آخر، وبفضل هذا التداخل يتمكن الأدب المقارن من دراسة الآداب المختلفة في علاقاتها الممكنة، وفق رؤية مقارنة متميزة تجمع بين النقدي، والتاريخي، والأدبي .

[1] المرجع السابق عبده عبود ص:50.

فلكي تحقق الدراسة الأدبية المقارنة العمق، والشمول في رصدها للعالقات الأدبية التي تتبادلها النصوص البد من مراعاة البنيتين الداخلية، والخارجية للنصوص "فالنص الأدبي له شؤون داخلية، وأخرى خارجية، أما الشؤون الداخلية فلها عالقة ببنيته الداخلية، وصوره، وتركيباته، ودلالته، ومضمونه، وشخصياته ... أما الخارجية فتتمثل في اتصاله بالآداب الأخرى، وتماسه، وعناصر ومؤثرات تنتمي إلى الآخر، إنها طبيعة ملازمة للأدب؛ ألنه نتاج إنساني فاعل ومتفاعل مع الآداب الأخرى، يتالقح مع التيارات الأدبية، والفكرية، والفنية، يؤثر فيها ويتأثر بها"[1]

والباحث المقارن مطالب بتوظيف الدليل الخارجي لتأكيد مصداقية الدليل الداخلي، أما إذا حدث العكس، فإن الأمر قد لا يسلم من ممارسة نوع من الضغط على النص بتحميله ما لا يحتمل من أجل إثبات صلة ما قد تكون غير موجودة أصال، لذا من الضروري التعامل مع النص بمستوى أرقى؛ أي أن يفسح له المجال لكي يفرض وجوده، ويشير إلى علاقاته

الممكنة بالنصوص الأخرى، حسب ما تقتضيه مستوياته المتنوعة، وبذلك نكون بصدد دراسة أدبية مقارنة تتسم بالموضوعية، والفاعلية .

وقد ازداد مجال البحث في المدرسة الأمريكية اتساعا، بدراستها لتلك الصالات التي تربط الآداب بمختلف مجالات المعرفة الأخرى كالسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والتاريخ، والفنون، والأديان، والمعتقدات وغيرها، وهكذا تحققت المزاوجة بين الأدبي وغير الأدبي في سبيل إلغاء المزيد من الحواجز، وأصبحت المقارنة من منظور هنري ريماك" هي حرية التقاط نقاط الاتصال ذات الدالة، عبر مجال النشاط الفكري، والتخيلي برمته "[2].

ولهذا قرر هاري ليفن عدم اعتبار الأدب المقارن علما، وإنما عدّه موقفا، أو وجهة نظر، أو مجموعة من المبادئ يتبناها الباحث في مناقشته للنصوص الأدبية على اختلاف

---

[1] ـ المرجع السابق،صغور أحلام ص:112.

[2] ـ المرجع السابق سعيد علوش،مدارس الأدب المقارن،ص:95.

أنواعها، ومصادرها [1]، في حين يرى كل من بيير برونيل، وكلود بيشوا، وأندريه ميشيل روسو أن " الأدب المقارن وصف تحليلي، ومقاربة منهجية وتفاضلية، وتفسير مركب لظواهر أدبية بين اللغات أو الثقافات، من خلال التاريخ، والنقد، والفلسفة، من أجل الوصول إلى فهم جيد للأدب بوصفه وظيفة نوعية للروح الإنسانية "[2].

فالمقارنة ليست علما بكل ما تعنيه الكلمة، بل إنها تفلت من قبضة العلمية؛ ألن الطبيعة الثابتة للمبادئ العلمية تتعارض والطبيعة المتغيرة للمقارنة الأدبية المنفتحة على مقولات المعارف الإنسانية واللسانية، وبما أن موضوعات الأدب المقارن تتسم بهذا القدر الكبير من السعة، والامتداد، والتنوع، كان من الطبيعي أن تشهد المقارنة تداخل للمعارف، والثقافات من أجل إجرائها بأفضل السبل .

ويُسقط مقارنو هذه المدرسة شرط اللغة من حساباتهم؛ لأنه لا يحفظ للأدب الأمريكي خصوصيته القومية، والثقافية، والاجتماعية، والإيديولوجية، بل يجعله تابعا للثقافة الإنجليزية، في حين أن سمات هذا الأدب تختلف عن سمات الأدب الإنجليزي، «ولهذا فهم مع اجتماعية النص حين تؤكد هذه الاجتماعية الفوارق بينهم وبين الإنجليزي،وهذا منطق صحيح رغم أن ظهوره ارتكز على منطق براغماتي"[3].

فدفاع المدرسة الأمريكية عن فكرة انفصال الأدب الأمريكي عن الأدب الإنجليزي، وأن الأول ليس امتدادا للثاني، لا تبررها الحدود القومية فحسب، بل هناك اعتبارات أخرى، ومن ذلك " أن سكان الواليات المتحدة لا ينتمون في أصلهم إلى شعب واحد، بل هم مهاجرون،

---

[1] - فاطمة الصافي حول مصطلح الأدب المقارن،أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب-المصطلح و المنهج،ص52.

[2] - المرجع السابق بيير برونيل،كلود بيشوا،أندريه ميشيل روسو، ما الأدب المقارن؟،ص:173.

[3]- عز الذين مناصرة ،أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب ،حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح و المنهج ،ص:125.

يرجعون إلى مختلف شعوب العالم، وهذا التنوع كان أساسا، وباعثا لخلق أدب جديد، يختلف عن الأدب الإنجليزي، وإن شاركه في اللغة بقدر كبير "[1]

كما أن عامل اللغة الذي نادى به المفهوم الفرنسي قد افتعل مشاكل لا حصر لها ذلك ألن الحدود اللغوية لا تنطبق دائما على الحدود السياسية كاللغة الإنجليزية، واللغة الفرنسية، واللغة الألمانية، واللغة الإسبانية الخ ... وأمام هذا الوضع هل يمكن اعتبار الأدب المكتوب بلغة واحدة حيثما وجد، ومهما اختلفت الحدود السياسية، والقوميات أدبا واحدا ؟[2]

" كما أن الحدود اللغوية قد بددتها وسائل الاتصال المتنوعة، إذ أصبح الإنسان الواحد يتقن العديد من اللغات، كما أنه بات بإمكانه التواصل مع جهات الأرض الأربعة في وقت قصير، وذلك بالتحدث بأكثر من لغة، أو بالاستماع إليها كما أننا نجد في أدب الأمة الواحدة

أعمال مكتوبة بعدة لغات، إذ هناك عرب يكتبون باللغتين الفرنسية والإنجليزية، وقد يكتب الأديب الواحد بلغتين، فهل يُعقل أن نقارن بين عملين له لمجرد اختلافهما في اللغة؟

وقد يكون الأديبان من بيئة ثقافية واحدة، ويكتبان بلغتين مختلفتين أو العكس؛ أي أن يكتبا باللغة ذاتها، وهما من بيئتين ثقافتين مختلفتين، فهل يجوز عقد مقارنة بينهما؟، فاللغات لم تعد قادرة على الفصل في هذا التداخل الواسع، وإن استطاعت ذلك فمن الصعب تتبع سبل الانتقال الأدبي، كأن يستمع كاتب جزائري لقصة روسية يبثها أحد البرامج الإذاعية في راديو موسكو مثلا.[3]

[1] - محمد عبد السلام كفافي، غي الأدب المقارن، دراسات في نظرية الأدب الشعر القصصي دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان ط1971،1،ص:25.

[2] - نسيمه عيلان،من أجل مفهوم عربي للأدب المقارن أعمال الملتقى الأول لمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح و المنهج،ص:47.

[3] - عبد المجيد حنون،محاولة لتجديد مفهوم مصطلح الأدب المقارن أعمال الملتقى الأول للمقارنين العرب حول موضوع الأدب المقارن عند العرب المصطلح و المنهج،ص:37.

وهكذا يظهر محدد آخر لهوية الآداب، إنه البيئة الثقافية، الذي يبدو أكثر فاعلية؛ ألنه يقدم حلولا لبعض الحالات التي عجز محدد اللغة عن إيجاد حل لها، وإذا شككنا في فعالية محدد البيئة الثقافية الذي تبنته المدرسة الأمريكية، فكيف يتعامل المقارن مع التأثيرات المتبادلة بين آداب أمريكا الجنوبية الناطقة باللغتين الإسبانية أو البرتغالية؟، فهي وإن اشتركت في اللغة والتراث الأدبي، تبقى منتمية إلى بيئات خاصة، وماذا عن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، المتميز بروحه الجزائرية، ولسانه الفرنسي؟، إذن من الواضح: " أن الحجج المتعلقة بإدخال هذه الآداب المختلفة في الأدب الذي تنتمي إليه جغرافيا، والأدب الذي تنتمي إليه لغويا، تكاد تكون متساوية تقريبا "[1] ، لذا يعد من الأدب المقارن ما يُعقد من مقارنات بين آداب مكتوبة بلغة واحدة، إذا كانت ظروفها الاجتماعية والبيئية، والعرقية مختلفة؛ كالآداب الناطقة بالإنجليزية في الهند، وإنجلترا وأمريكا وجنوب

إفريقيا، أو غربها كنيجيريا، وغانا مثال، أو بين الآداب الناطقة بالفرنسية في فرنسا، وساحل العاج، والسنغال، وغيرهما من دول إفريقيا [2].

ومن غير المنصف إهمال ظاهرة التشابه بين الآداب بسبب غياب حجة تاريخية تثبت وجود عالقات تأثير وتأثر فعليين، فالمقارنة في هذا الباب تعد أمرًا مثيرًا من الناحية المعرفية، لخوض غمار تجربة بحث جادة انطلاقا من سؤال وجيه، ألا وهو: كيف نفسر ظواهر التشابه إذا لم تكن وليدة تأثير أدبي فعلي؟ .

[1] - حسام الخطيب آفاق الأدب المقارن عربيا و عالميا ط2، دار الفكر، دمشق سوريا، 2003،ص:34.
[2] - بديع محمد جمعة، دراسات في الأدب المقارن، ط2،دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت لبنان1980،ص:17-18.

وهو السؤال الذي تجاهلته المدرسة الفرنسية، وبذلك لم تعد تصوراتها تفي بالغرض، كما أن إهمال المدرسة الأمريكية للصلة التاريخية في دراستها لظاهرة التشابه أمر غير مقبول؛ ألن الأدب المقارن لا يمكنه الاستقلالية كليا عن تاريخ الأدب، وإلا تحولت دراساته إلى مجرد ثرثرة ، نظرا لافتقارها إلى الحجج التي تكسبها قيما موضوعية ومعرفية .

كما عاب المفهوم الأمريكي على المفهوم الفرنسي اعتداده بالنزعة القومية، وتمسكه بالمركزية الأوروبية، التي تؤمن بتفوق الفرنسيين خاصة، والأوروبيين عامة على باقي الشعوب، ومن مظاهر هذه النزعة التي أفرزتها الذهنية الاستعمارية، اتخاذ الأدب الفرنسي محورا للآداب الأخرى تأثيرًا وتأثرًا، وحجة ذلك تلك المواضيع التي عرضها غويار في حديثه عن مجالات البحث في الأدب المقارن، نحو: أدباء فرنسيون في الخارج، وأدباء أجانب في فرنسا، واتجاهات أجنبية في الأدب الفرنسي، واتجاهات فرنسية في الآداب الأجنبية.[1]

لكن هذه النزعة تتعارض والطبيعة العالمية للأدب المقارن، كما تعد مصدرا للنزاع، لو اعتقدت كل أمة تملك من التفوق قدرا معينا، أنها الأجدر بالزعامة، وأنه من حقها المطالبة

بها؛ ألن أدبها هو النموذج الذي يحتذي به، حتى وإن كان ذلك على حساب الآداب الأخرى، وهذا ما يعيق التواصل بين الشعوب، ويلغي إمكانية التقارب فيما بينها .

لكن المفهوم الأمريكي وقع في المطب نفسه، بنزوعه إلى قومية أخرى، ربما تكون أكثر خطورة، إذ اعتبر آداب الغرب أكثر تفوقا، وتميزًا لتكون موضوعا للأدب المقارن أما آداب الشرق فتأتي في الدرجة الثانية ، في حين أن: " المقارنة، والمثاقفة في الأدب المقارن، لا تفترض بأن الدولة القوية سياسيا، هي قوية أدبيا ". [2]

---

[1] - المرجع السابق ،ماريوس فرنسوا قويار،ص:142.

[2] - المرجع السابق، عزا لدين المناصرة،النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي،ص:94.

إن هذه الدراسات الأوربية و غيرها مما لا يحصي الكثير كان الفكر الشرقي طابعه المميز حيث اعترف مشاهير كتاب أوربا ما شاء لهم أن يعترفوا من هذا السفر الاجتماعي الضخم الخالد الذي أثر في كتاباتهم فجاءت و كأنها تحمل الصورة الواضحة المشرقية التي تميزها الشرق فأضحت مدعاة لإعجاب الغرب وليس هناك وصف لألف ليلة أبدع وأوضح وأشمل من أن يقول:"إن المرآة التي أطل منها الغرب على الشرق،مما حدا بالأروبين إلى حلو الصدأ عنها لتظهر أكثر إشرافا من ذي قبل".[1]

فالدراسة في الأدب المقارن لا بد لها أن تخضع لأحد مناهجه التي تتناول دراسة الموضوعات أو النماذج أو الأفكار و بعض مناهجه.

[1]- د سعيد علوش إشكالية التيارات و التأثيرات الأدبية في الوطن العربي،ط1 -6-14-1986م،ص:215.

الفـــصـــــــل الأول

أثر الأنواع الأدبية النثرية في أوربا في الأدب العربي الحديث:

لم تسلم آداب الأمم على مرّ التاريخ من تيارات التأثير التي كانت ولا تزال تتوافد إليها مؤثرة فيها تأثيرا فكريا،وأدبنا العربي مثله مثل باقي الآداب العالمية خضع في حقبة المتعاقبة لهذه التيارات الفكرية و الأدبية بدء العصر العباسي إلى العصر الحديث لقد توافد على الأدب العربي في العصر الحديث تيارات أدبية من أوربا صبغته و لونه بحلة جديدة غير أن هذا التأثير مس جميع الأجناس الأدبية كذلك نجده مسّ الرواية فجاء متواترا و على مراحل متعاقبة فجاءت أولى الإرهاصات الرواية العربية مقتصرة على التأثر ببعض النماذج القصصية الفرنسية "نتيجة للارتباط الثقافي بين مصر و فرنسا منذ بداية النهضة حتى الاحتلال"[1].

مراحل التأثير الأجنبي في الأدب الحديث وجذورها :

ينقسم التأثير الاروبي في الأدب العرب ولغتهم في العصر الحديث في الفكر الأدبي الحديث إلى ما يلي:

أ-تأثير الأساليب الفنية (كالرواية، و القصة،و التمثيلية).

ب- تأثير الأفكار والنظريات والآراء .

أ – تأثير الأساليب (القصة القصيرة –الرواية – التمثيلية):

إن العرب –ولا شك –من أكثر الأمم قصصا قصيرة أو متوسطة. كليلة ودمنة المترجم وألف ليلة وليلة ،ومقامات الهماذاني والحريري قصة المعراج، رسالة الغفران كتبها من هذا الباب وبعد كل هذا ففي القران الكريم قصص رائعة و في الشعر الجاهلي والإسلامي قصائد قصصية وهناك كثير من القصص التي ذكرت في التاريخ والجغرافيا وسيرة ابن هشام وكتب القصص الشعبي الأخرى انتقلت القصة القصيرة في الأدب العربي في مراحل مختلفة .

[1] - عبد المحسن طه بدر،تطور الرواية العربية الحديثة 1870-1938 دار المعارف ط4،1976،ص:130.

فقد انتقلت من مرحلة الرواية الشفهية إلى مرحلة التدوين ومن العناية بذكر شخصية الرواية الذي يروي الخبر إلى العلنية بشخصية البطل التاريخية.

ففي القرون الثلاثة الهجرية الأولى كان أغلب أشخاص القصص أشخاصا لهم روايات تاريخية وليسو بأشخاص خياليين،إلا أن كثيرا من القصص حول هؤلاء كان قصصا موضوعا لا صح تاريخية له.

ثم ارتقت بالتأليف إلى مرحلة أخرى هي مرحلة العناية القصص الموضوع مع ذكر الرواية كما وقع لنا في كتاب "الفرج بعد الشّدة" ، للتوخي:وبعد ذلك ظهرت الكتب الشعبية التي أغفلت اسم الرواية اسم مؤلفها أحيانا،ولم نلتفت إلى كون بطل موجدا حقا كما حدث في ألف ليلة و ليلة

و قد أخذ كتاب القصص ألف ليلة و ليلة قصصا من مراجع المرحلة الثانية كالفرج بعد الشدة و حذفوا أسماء روتها وأضافوها كجزء متمم لقصصهم القصيرة.

ففي كتاب " الفرج بعد الشّدة "يروي لنا التنوخي خبرا عن (نجيد كاتب إبراهيم ابن المهدي

وأن إبراهيم حدثه أن مخلدا الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره...الخ)[1]

ثم يذكر لأسير مسلم في بلاد الروم حدث له ما حدث لسندباد البحري في إحدى رحلاته من زواجه من امرأة ماتت فانزل معها في القبر...

إن ألف ليلة و ليلة و كتب القصص الشعبية الأخرى مثل قصة(سيف بن ذي يزن)و قصة "عنترة"و قصة "حمزة البهلوان"و غيرها ما هي إلا قصص متوسطة الطول ربطت ربطا بأوهى خيط و في الواقع أن العرب لم يعرفوا و التأليف الروائي العميق المترابط الأجزاء محكما .من النوع الذي يعتمد على التحليل النفسي أو النقد الاجتماعي أو ما شابه.

---

[1] دكتور داود سلوم ،الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ،الطبعة الأولى، 2002،ص:421.

فأغلب القصص الشعبية الأخرى المتأخرة أن هي إلا ملاحم بطولية تعتمد على المحال و استخدام الجّن و السحرة ليحصل الكاتب على ما يريد.

و قلما نجد فصلا لا يعتمد على الشعر لإطالته فأن "المحال" البعد عن "الواقعية"هي إحدى خصائص هذا الأدب الشعبي المتأخر.

أما الروايات الحديثة و التمثيليات فقد بدأ المترجمون بترجمتها باللغة الأوربية و خاصة الفرنسية في القرن التاسع عشر وإن مرحلة الترجمة تلتها مرحلة ثانية هي مرحلة "التعريب" أو ما يسمى" بالاقتباس " ،أي اقتباس الفكرة و صياغة الباقي وما يتفق و البيئة العربية فيما يخص أجواء أبطال المسرحية و أسمائها وقد حدث هذا الاقتباس أو التعريب بالنسبة للمسرحية أكثر منه للرواية .

إن جورجي زيدان يبالغ في لأثر الترجمة في أسلوب الكتابة العربية إلى حد كبير إن كان غيره لا يقدر هذا التقدير فنحن لا ننكر أثر حركة الترجمة الأولى في الابتعاد بالأسلوب الكتابي عن المحسنات البديعية و السجع وما إليه من أساليب البلاغة التي تمنع اتصال المعنى الدقيق إلى السامع لا نتفق معه في قوله :" إن المترجمين قد صرفوا عنايتهم على العموم الإنشاء المرسل السهل و أهملوا ما كان الأولون يتوخونه من التشجيع"[1].

فإن غير جورجي زيدان من الذي بحثوا هذا الموضوع بصورة أدق يرى غير هذا الرأي فإن الدكتور محمود حامد زكت يقول:

" أما القصة المترجمة فتصور عصرا قوامه رواسب فنون أدبية خاصة ووعي أدبي بدأ يطل على قصص أجنبي و تلون فيه الترجمة تلوينا قويا بمصطلحات من ألف ليلة ،و تنهج منهج المقامة في استعمالها البديع و الزخرفة و السجع و تتسع للأمثال و الحكم الشعبية و

[1] - المرجع السابق،ص:423.

الإسلامية العامة ،و لا تتقيد بالأصل المترجم ولا بالروح العامة فكأنه يقدم للقراء قطعة أدب اجتهد أن تكون مشابهة لنماذجه شكلا وروحا إن أمكن "[1].

ومن الذين اشتغلوا بالترجمة للمسرح نجيب حداد و فرح أنطوان و غيرها .

ومن الذين اشتغلو بالترجمة في القصة رفاعة رافع ،و في الأمثال و الروايات "محمد عثمان جلال "أيضا قد ترجم الأخير "العيون اليواقظ في الأمثال و الحكم و المواعظ" و قد طبع في بولاق عام 1313ه (1790م).و ترجم كتاب "الروايات المفيدة ".و من المترجمين العراقيين في أواصل القرن العشرين محمد أحمد السيد فقد ترجم مجموعة من القصص التركية و "إذا تغرب الشمس "لارجعند أكرم و طبعت عام (1925م)و المرحوم معروف الرصافي ترجم رواية "الرؤيا" لنامق كمال و طبعت عام 1909م.

أما مرحلة الثانية من الترجمة فهي المرحلة التي اتجهت إلى العناية بأسلوب الترجمة و الاقتباس.

فالمنفلوطي أراد أن يعيد الكتابة الأدب على مستوى أعلى و إعادة ترجمة "بول و فرجيني " أسماها "الفضيلة "و"ماجدو لين " لالفونس كار، والشاعر السيرايودي بجراك و"في سبيل التاج " ،و هي مسرحية "لباب الغرام أو الملك متربدات " للشيخ أحمد أبو خليل القباني ظهرت عام 1317ه 1900م

و لم ترد في المسرحية إشارة ما تدل على أنها مترجمة عن مسرحية أخرى بيد أن تاريخ

المسرحية ينبئنا أن شاعر فرنسا جان راسين قد عالج قصة الملك متريدات في مسرحية بهذا الاسم ظهرت عام 1683م.

---

[1] - المرجع السابق،ص:324.

إن الشيء الوحيد الذي نلخص إليه هو عدم و جود لغة مسرحية سليمة ملائمة ، فقد تبادلت المسرح اللغة الفصحى التي كتب بها كتاب لم ينظروا إلى الجمهور و لذته ، و السبب في عدم و جود لغة مسرحية هي انعدام و جود المسرح العربي فيل القرن التاسع عشر ،و إن ذهب بعض الباحثين إلى و جود إشارات لظواهر مسرحية عند العرب و عند بعض الفرق الإسلامية في العصور الوسطى .[1]

ب- تأثير الأفكار و الآراء و النظريات:

إذا أردنا أن نتتبع تأثير الأفكار السياسية الحديثة النزعة التحررية و التجديد في الأدب العربي فيجب علينا أن نتتبع ذلك في الشعر العراقي و خاصة شعر الزهاوي و الرصافي فإن أثر الثورة الفرنسية التي قامت عام 1879كان كبير على عقول الأتراك في القرن التاسع عشر و قد أثرت الثورة الفرنسية أيضا على طلاب العرب و على اللذين ذهبوا للبحث عن مستقبل و مغامرات في القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية العثمانية .

فإن ألفاظ مثل "دار السلام" و " أمير المؤمنين " و " خليفة المسلمين "، و "ظّل الله في الأرض"، بدأت تتزعزع و تتأخر عن مقامها القديم شاعت بين المثقفين ألفاظ جديدة مثل: الوطن و الشعب و الدستور و البرلمان و الحرية و المساواة .

حيث خضعت المنطقة للنفوذ الاستعماري الغربي البريطاني و الفرنسي و قد و أدّى هذا إلى التصدع و الارتجاع في الساحة العربية لأنه كشف للعرب ما هم غارقون فيه من تخلف و انحطاط و كان ذلك بمثابة الشرارة التي بدأت تشعل بنيرانها الظلام المخيم في كل أنحاء العالم.

[1] - محمود حامد شوكت ، المسرحية في شعر شوقي ،القاهرة ،ص:13، و جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ص:138.

و التأثر الأدبي و الشعري لم يكن ليحدث بمعزل عن بقية المؤثرات لأن ما حصل كان نوعا من التثقف أو التصادم الحضاري من هنا فإنه لا يمكننا أن نقصر الحديث على مجرد التأثير المباشر الذي تركه الشعر الأجنبي على شعرنا المعاصر القضية أشمل من ذلك بكثير إن

المنطقة العربية خضعت و ما زالت لتيارات فكرية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية و فنية وافدة من الخارج و يعتبر دلك بمثابة لقاح خصب للثقافة العربية .

و قد كانت ردة الفعل الأولى هي العودة للماضي المجيد كنوع من محاولة لإثبات الذات المهزومة في الحاضر فلجأ الشعراء و الأدباء إلى محاكاة أرفع النماذج الشعرية الجاهلية أو العباسية و هو ما يسمى بحركة الإحياء و قد قادها الشاعر محمود سامي البارودي (1730-1904) وصلت إلى ذروتها في شعر أحمد شوقي (1767-1932).[1]

لقد كان للحركات الشعرية في الغرب أكبر تأثير على شعرنا العربي المعاصر و لا بد لنا في دراستنا للرافد الأجنبي عند شعرائنا المعاصرين من تتبع أهم خطوط التأثر عند الشعراء الذين سبقوهم و مهدوا لهم.

لقد كان التيار الرومنطيقي هو أول التيارات الفنية التي أخذت تجتاح الشعر العربي .وبعد مرحلة الإحياء السلفية التي اتخذت الذرى الشعرية العربية القديمة بخاصة الشعر الجاهلي و كبار شعراء العصر العباسي أمثال المتنبي مثلا أعلى لما أخذ الصراع يحتدم بين التيار التقليدي الكلاسيكي و التيار الرومنطيقي الوافد بتأثير من الشعر الغربي .

إن العقاد هو المنظّر الأكبر بدور كبير و أساسي لجهة إدخال مفاهيم شعرية جديدة مستوحاة من الشعر الانجليزي ، تجسد ذلك بخاصة من خلال الحملة العنيفة التي شّنها العقاد على شعر أحمد شوقي الممثل الأبرز للتيار الكلاسيكي الإحيائي .من هذه الانتقادات انعدام الوحدة العضوية

[1] - الدكتور يوسف الحلاوي المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر،دار العلم للملاين ط 1 ص:09.

في القصيدة و الإحالة أي المبلغات المستحيلة الفاقدة المبرر ثم تكرار و ترداد ما هو شائع دون إضافة أي جديد و دون أن يكون هناك موقف أو ذاتية محددة للشاعر.

أما في لبنان كان التأثير بالآداب الأجنبية على أشده وبخاصة الأدب الفرنسي لأن منهج المدرسة في عهد الانتداب كانت في ذاتها المناهج في فرنسا باستثناء اللغة العربية و هذا قد

أدى إلى التعرف على الأدب الفرنسي و قد ازدهرت الترجمة أشد الازدهار مما فسح المجال لنقل الكثير من روائع الأدب الفرنسي فأخذت الرومنطيقية و الرمزية الفرنسيتان تنتشران في الأوساط الأدبية اللبنانية و قد أدى ذلك إلى بروز تيار شعري مجدد يقف بوجه التيار المحافظة

و بدأت أسماء المشاهير من الشعراء الفرنسيين تتردد على الأسماع مشكلة المثل الأعلى الذي يسعى الشعراء اللبنانيين جاهدين اللحاق به مثلما فعل إلياس أبو شبكة في قصيدة "شمشون" التي استلهم فيها قصيدته "غضب شمشون" للشاعر الفرد دي فيني Alfred d Vinoy(1797-1863). ومن أمثلة القصائد المترجمة قصيدتا شارل بودلير Charles Baudelaire(1821-1867) "إلى عابرة " و "الأفعى التي ترقص".[1]

إن التأثر الشعري لم يكن ليحدث بمعزل عن بقية المؤثرات لأن ما حصل كان نوعا من التثقف أو التصادم الحضاري .من هنا لا يمكننا أن نقصر الحديث على مجرد التأثير المباشر الذي تركه الشعر الأجنبي على شعرنا المعاصر القضية أشمل من ذلك بكثير إن المنطقة العربية خضعت وما زالت لتيارات فكرية وسياسية و اقتصادية و اجتماعية و فنية وافدة من الخارج و يعتبر ذلك بمثابة لقاح خصب للثقافة العربية.

حيث تركت المدارس الأدبية و المذاهب الفنية الغربية كلها بلا استثناء تأثيرا بالغا على شعراءنا و طغى على التأثر في بدايته طابع التقليد و المحاكاة فانتشرت المدرسة الرومنطيقية عند شعراء العرب أمثال أحمد زكي أبي شادي و الشابي و خليل مطران و الياس أبي شبكة ثم

[1] - المصدر السابق،ص:13.

المدرسة الرمزية التي تجلت عند الشعراء مثل أوديب مظهر و سعيد عقل و غيرهم ثم السريالية عند أمثال شوقي و أبي شقرا.

-مفهوم الإستشراق:

أ-الاستشراق لغة :

الاستشراق فعله (شرق) الشين والراء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على إضاءةٍ وفتحٍ. من ذلك شرقت الشّمسُ، إذا طلعت[1]. واستشراق على وزن استفعال ومن معاني الاستفعال الطلب ، والاتخاذ ، وهذا هو فعل المستشرقين كما سيرد في تعريف الاستشراق الاصطلاحي .

ب- الاستشراق اصطلاحا :

تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما[2].

ثانيا: نشأة الاستشراق .

---

[1] - معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ،دار الفكر للطباعة والنشر ، 204/3

[2] - الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة ، د.مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، ط5 ،1424، 687/2 .

من الصعب تحديد بداية للاستشراق، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري. وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد. والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين. وآيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية.

وقد بدأ الاستشراق بشكل رسمي حين صدر قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ،لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م .

وهكذا أخذت مسيرة الاستشراق تتواصل عبر القرون والأجيال ، تهيمن عليه تلك الروح العدائية البغيضة للإسلام وأهله ، غير أنها كانت تخف حدتها عند بعض المستشرقين ويخفت صوتها بعض الأحيان ، وأخذ اهتمام الغربيين بالاستشراق يتزايد فينشئون الكراسي الخاصة به والمعاهد في جامعات أوربا ، ويشجعون الأفراد لولوج ميدانه ، حتى جاء القرن الثامن عشر وهو العصر الذي بدأ فيه الاستعمار فوجد المستشرقون بغيتهم وأصدروا عددا من المجلات في الممالك الغربية ، وأغاروا على كثير من المخطوطات العربية من المكتبات العربية والإسلامية فنقلوها إلى بلدانهم .وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام 1873 وتتالى عقد المؤتمرات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام .

وفي نهاية القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصا قائما بذاته داخل الدراسات الاستشراقية العامة ، وكان الكثير من علماء الإسلاميات واللغة العربية يعدون علماء في الساميات على وجه العموم أو في دراسة الكتاب المقدس على وجه الخصوص[1] .

ثالثا : أهداف الاستشراق .

بعد أن اقتنعت الكنيسة والدول الاستعمارية من خلال الحروب الطويلة مع المسلمين أن سر وحدتهم وقوتهم التي تحول دون الانتصار عليهم يكمن في الإسلام وحده ، ونجاح المسلمين وتقدمهم على مدى التاريخ لم يكن إلا بالتمسك بالوحي كتابا وسنة ، ولا يمكن فهم القرآن دون

السنة ولذا وجهت الدول الاستعمارية جهودها إلى حركة الاستشراق المغرض فعملت بجد ونشاط لتحقيق الغاية بقيادة رجال الكنيسة واليهود الذين دخلوا كمستشرقين ، وتقدر الأبحاث والكتب التي كتبها المستشرقون عن الإسلام من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بنحو 60000 ستين ألف كتاب ، فلم كل هذا الاهتمام والعناء ؟ [2]

إن الاستشراق يهدف من وراء ذلك لغايتين أساسيتين :

*حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به ، وبالمقابل تحويل المسلمين عن دينهم وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى وبثها لوحدات متقاطعة متنافرة ، ويقول في ذلك رجاء جار ودي : (لم يكن الاستشراق حركة نزيهة من البداية إذ كان الهدف منه تنفيذ مشروع يرمي إلى إدخال المسلمين في النصرانية)[3].

* معرفة الشرق ودراسة أرضه ، وطقسه ، وعلمائه ، وشعبه ، وكل أموره كل ذلك ليعرف كيف يصل إليه فقد ظلت دار الإسلام مرهوبة مخوفة ولم تستطع الصليبية بجحافلها الغاشمة

---

[1] ينظر: المرجع السابق ، نحو ثقافة وسطية راشدة ، صـ :229 ، المنهج عند المستشرقين ، عبد العظيم الذيب، صـ:339.

[2] - ينظر: موقف الاستشراق من السنة والسيرة النبوية ، د. أكرم ضياء العمري،صـ56 ،

[3]- ينظر: أجنحة المكر الثلاثة (الاستعمار ، الاستشراق ،) صـ94 ، المنهج عند المستشرقين ، عبد العظيم الديب ، صـ339

اختراق ديار الإسلام مطلع القرن السادس الهجري ، ولكنها مافتئت تدبر وتقدر وتحاول الالتفاف حول ديار الإسلام لما استعصى عليها اختراقها وكان الاستشراق هو رائدها الذي يرتاد لها الطريق ، فغايتهم هنا تتمثل في مطامعهم السياسية والاقتصادية والعلمية من ديار الإسلام [1].

المستشرقون و مصادر ثقافته الفرنسية :

تتلمذ طه حسين على يد مجموعة من كبار الأساتذة الفرنسيين سواء في جامعة مونبيلي أم في جامعة السربون و قد تركوا أثارا بارزة طبعت شخصيته بطابع تعليمي تعبيري لم يترك مجالا

للشك أو التردد في الدفاع عن هذه الحضارة الغربية التي نهل منها و أنقذته من حفرة الظّلام التي كان يعيش فيها و من هؤلاء الأساتذة :

-1- شارل سينبوس Charles Seignobos:

من أكبر أساتذة التاريخ الحديث في فرنسا و لد سنة 1854 و توفي سنة 1942و من أشهر المؤرخين الذين درس عنهم طه حسين درس بفرنسا و ألمانيا و درس بجامعة السوريون منذ سنة 1890 و قد ألف مجموعة من الكتب الهامة مثل كتاب "تاريخ الحضارة " في جزأين و كتاب التاريخ السياسي لأوروبا المعاصرة سنة 1897[2] كتاب المدخل إلى الدراسات التاريخية .

-2-غوستاف غلوتز[3]Gustave Goltz:

و هو من أشهر الأساتذة المتخصصين في التاريخ اليوناني القديم و لد سنة 1862 و توفي سنة 1939 بباريس و قد تخصص في اليونان القديم ومن مؤلفاته المدينة الإغريقية "1928"

---

[1] - ينظر: المنهج عند المستشرقين ، عبد العظيم الديب ، صـ 339 ، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة ، 691/2

[2] 1165.: page، française encyclop et noms، Dictionnaire de la langue

[3] - محمد البهيّ،الإسلام الحديث و صلته بالإسعمار الغربي ،دار الفكر بيروت ،ط1973/6، ص:572.

-3- لوسيان غالوا Lucien Gallois:

كارانوفا : المشرف على رسالة طه حسين و أستاذه

شالي ديل :أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة السوربون

بوجليه :أستاذ الفلسفة بجامعة السور بون.

دور كيم :أستاذ في علم ا9لإجتماع و المشرف المساعد على الرسالة.

- **تأثره بدور كيم :**

اتصل طه حسين بدور كيم ليشرف على رسالته التي يحضرها في علم اللإجتماع و قبل الإشراف يقول :"...وأقبل على الرسالة يتأهب لمناقشتها و لكنه لم يلبث أن روع بوفاته الأستاذ

ا لمشرف الفلسفي على رسالته و كان الفتى معجبا به إعجابا يوشك أن يبلغ الفتون ، فأدركه للخطب فيه حزن عميق..."[1] .

ولما مات دور كيم خلفه في الإشراف على الأطروحة تلميذه الأستاذ بوجليه.

فلسفة دور كيم و فلسفة سان سيمون :

يعترف طه حسين في كتابه الأيام انه تأثر بفلسفة دور كيم الذي درسه علم الاجتماع و أشرف على أطروحته حول غبن خلدون ثم درس فلسفة سان سيمون على يد أستاذه و تأثر بهذه الفلسفة و الاعتراف سّيد الأّدلة .

و يلخص لنا طه حسين دعائم هذه الفلسفة و مميزاتها و كان شديد التأثر بدروس الأستاذ دور كيم في الاجتماع و كان الأستاذ قد درس عاما كاملا لتلامذته مذهب الفيلسوف الفرنسي سان سيمون الذي يقوم على أن أمور الحكم الصالح المنتج الذي يحقق العدالة و الرقّي للشعب يجب أن تصير

[1] - طه حسين ،ج 1 ص:128.

إلى العلماء لأنهم هم الذين يستعطون أن يتلاءموا بين نتاج العلم على اختلاف وبين حاجات الناس و طاقاتهم و استعدادهم للتطور و المضّي في سبيل الرقّي".[1]

احتك طه حسين بالعلم و الإستشراق بربط علاقات علمية وودية مع عدد من المستشرقين و هكذا فقد تفتح أمامه هذا الباب الطويل العريض الذي تنقصه البراءة في الكثير من الأمان و تخلو منها صدق الأيمان في تحصيل العلم و الأدب .

و هكذا قد ولجّ طه حسين باب الإستشراق و دخل عالم التغريب بتعلمه اللغة الفرنسية على يد أكبر علمائها في ميدان الإشستشراق حدث كانت أهداف التبشير و المبشرين واحدة موحدة فإن مؤسستها ووسائله متعددة ما ظهر منها و ما خفي و كلها تتفق في الوصول إلى تجنيد أكبر عدد ممكن من المرتدين سواء كانت هذه الردّة اجتماعية أو دينية من هذه المؤسسات و

المراكز الثقافية الأديرة ، و الكنائس لما تقدمه من نشاطات ثقافية المكتبات الأجنبية المختلفة الجامعات كالجامعة الأمريكية بالقاهرة و الجامعة الأمريكية ببيروت التي أنشئت عام 1865

و كانت تسمى الكلية السورية الانجليزية ثم كلية بيروت و هي أصلا جامعة بروتاستيتية -[2]

يقول في ذلك محمد البهي :"إن رواسب التبشير و الاستشراق ... لا تتنصل فقط في المؤسسات التبشيرية المختلفة الظاهرة في مصر و البلاد العربية ة الإسلامية بل هناك أيضا مؤسسات أخرى في مصر لا يرى منها التبشير و إن كانت لا تخفي هدف هذا الاستشراق

و نذكر على سبيل المثال لا حصر – المؤسسات التالية :

1-المعهد الفرنسي بالميزة .

2- دار السلام بكنيسة دار السلام بمصر القديمة.

---

[1] - المرجع السابق،ج3، ص:158.

[2] - محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي دارالفكر بيروت.ط1973/6 ص :530.

3- ندوة الكتاب شارع سليمان باشا.

كل هذه المؤسسات تخضع للاتجاه الكاثوليكي في بحث الإسلام و تراثه و تخضع كذلك النفوذ الفرنسي[1].

إن مؤسسات التبشير و وسائله لا تقتصر على وجود العنصر الأجنبي و إنما حشدت لخدمتها جيشا من المثقفين المسلمين و غير المسلمين من أبناء الوطن العربي و الإسلامي منهم من درس في هذه البلدان الغربية و تلقى دروسا كانت رصيده التراث العربي الإسلامي ضعيفا أمامها فتأثر بتعاليم الحضرة الغربية من حيث تعاليم الدين المسيحي.

، يتحدث محمد البهي عن هذه الوسائل الأجنبية التي تجند عددا من أبناء جلدتنا من المصريين و العرب عامة و هم أصحاب الثقافة الفرنسية ممن درسوا في فرنسا الآداب الشرقية و الثقافة الإسلامية و يرعها كأب روحي المستشرق الفرنسي لويس ما سينبون عضو مجتمع اللغة العربية بالقاهرة و مستشار بوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا .

و لا تقتصر هذه المؤسسات على مصر بل هناك من يماثلها و يفوقها في الجزائر فمنها عدد من المكتبات الأدبية و العلمية التي يشرف عليها رجال الدين المسيحي و هناك بعض الجمعيات ذات طابع ثقافي الذي يشرف عليها مثقفون جزائريون و لا يملكون من هويتهم الا بطاقة الهوية.

طه حسين و المستشرقون :

إن تأثر بالآداب العالمية سمة حضرية حيث تأخذ كل حضارة من غيرها من الحضارات و تتأثر كل ثقافة بغيرها أيضا و لا يشد الأدب عن ذلك إنما الذي نلاحظه عند طه حسين فهو تأثر بالآداب

---

[1] - نفس المرجع الساب36ق ص: 522- 523.

الأوربية و تغريب لأنه نادى بتقليد الأوربيين و حضارتهم حلوها و مرها و بجد يكمن في إثارة حافظة بني جلدته و قد عشق هذا العناد العلمي و الأدبي و هو ما يعرف بأسلوب الصدمات لأنها من المهم و شحذها للسخرية و الاحتقار.

و يذهب أنور الجندي [1] إلى سلب طه حسين كل المبادرات العلمية و الأدبية فيرى بأنه قد أخذ من المستشرق مرجليوت فكرة رفض الشعر الجاهلي و أخذ آراءه عن المتبني من بلاشير و أخذ عن فان و برينوتيار و ديكارت مذهبه النقدي و كون فكرة بحثه عن ابن خلدون من أستاذه دوريكم و أوحلي إليه سانت بوف Saint beuve بأحاديثه Les causeries de lundi بفكرة كتابه "حديث الأربعاء " و لكننا لا نمر مرور الكرام على هذه الآراء . نقول أن فكرة كتابه عن الشعر الجاهلي قد أخذت من مرجليوت و أخذها أيضا من ألانجليزي جورج صال الذي ألف كتاب تحت عنوان "مقالة في الإسلام " تعرض فيها بالنقد و التجريح إلى الإسلام و الرسول

صلى الله علية و سلم و القرآن الكريم و قد نشر الكتاب سنة 1871 و ترجمه إبراهيم العرب بمصر سنة 1895 و لكن طه حسين أنكر إطلاعه على هدا الكتاب عندما حققت معه محكمة القاهرة .

أما المنهج الذي طبقه في دراسته للشعر الجاهلي فهو منهج الشك الذي نادى به الفيلسوف الفرنسي ديكارت في القرن 17 كما أن طه حسين قد أطلع على كتاب تاريخ الآداب الأوربية"الشعر اليوناني القديم" الذي ألفة الإخوة كروازي les frères croisetés [2] وكان قد طبقا منهج الشّك الديكارتي على هوميروس و ذهبا إلى أن هذه الشخصية و وهمية في المبالغة و التضخيم و لا وجود لها بهذا الحجم .

و أما شعره فقد نظمته رواة المدن اليونانية المختلفة في العصور اللاصقة فهو إذا يمثل ذاكرة أمة بكاملها مما جعل طه حسين يذهب بأن الشخصية قد و جدت في الواقع ولكن الذاكرة الجمعية

---

[1] - أنور الجندي.طه حسين حياته و فطره في ميزان الإسلام – دار بسلامة للطباعة و النشر و التوزيع.تونس ط1985/2.ص :34.

[2] -Meftah Tahar .Tahaa Husayn. Sa critique littéraire et ses sources françaises . P:.100

أضافت من الأخبار و الأشعار إليها ما يجعلها تضع لنفسها مجدا من مجد امرئ القيس و كذا القبائل العربية بكل الشعر الجاهلي أو بمعظمه[1].

و قد أخذ طه حسين فكرة النحّل و الانتحال في الشعر الجاهلي من كتاب ابن سلام الجمحي [2]و مقولة أبي عمرو بن علاء ومن رأي الأصمعي [3] ا لذي يقول فيه:" إن الشعر نكدّ يقوي في الشّر فإذا دخل في باب الخير ضعف و لانَ "..

المستشرقون و جامعة القاهرة:

إن طريقة التدريس لدى هؤلاء المستشرقين كانت قوية و مؤثرة بحيث جذبت إليها عقول الشباب المتعطش إلى العلم و المعرفة أمثال طه حسين.

يقول :"أنشئ قسم الآداب في الجامعة ، و دعي إليه جلّة الأساتذة من المستشرقين في فرنسا و إيطاليا و ألمانيا و أنسبت لهذا القسم ، و أخذت أسمع الدروس فيه فإذا ألوان من الدروس لم أعرفها من قبل و إذا فنون من النقد لم يكن لي بها عهد و إدا اللغة العربية و جذها لا تكفي لمن أراد أن يكون أديبا و مرحا للآداب حقا إذ لا بد من درس الآداب الحديثة في أوربا و درس المناهج البحث عند الفرنجة ،و له ما كتب الأساتذة الأوربيين في لغاتهم المختلفة للعرب من أدب و فلسفة ومن حضارة و ، كل هذه العقبات ظهرت لي حين سمعت دروس الأساتذة المستشرقين في الجامعة.و إنما أقول أنها قد غيرت رأي في الأدب و مذهبي في النقد كله "[4]

-إن طه حسين اكتشف هو و زملائه المناهج النقدية العربية عن طريق دروس المستشرقين و قد انبهروا أمام و سائل المعرفة الجديدة و كيفية اكتسابها و أصبحت أرائهم مذاهب مقدسة لا تقبل

---

[1] - إذا كان رأي طه حسين و بعض أساتذته من المستشرقين القائم بنفي شخصية امرئ القيس و قد كلفه ذلك قتل ابنة .انظر الأعشى "الديوان" شرح يوسف شكري فرحات دار الجيل بيروت .ط1992/1.

[2] - ابن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ،إعداد اللجنة الجامعية لنشر و التراث العربي دار النهضة العربية بيروت لات ،ص:14.

[3] -أبو قاسم البستاني ،فحولة الشعراء تحقيق ،محمد عبد القادر أحمد دار النهضة المصرية القاهرة،ط1991، ص:75.

[4] - طه حسين من تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني (ق 4 ه) ،ج 3 ، دار العلم للملايين بيروت ،ط1980/3 ، ص:367.

الجدال حتى و إن عرضت بتاريخ الأدب العربي و رفض بعض الروايات الموثوق بها و تعدى هذا الى الطعن في القرآن الكريم وفي نسب الرسول صلى الله عليه و سلم .و هو أمام ذلك معجب كأنه و جد ظّالته و يقول معتقدا و مناسقا :" المذهب الذي أحدثته الجامعة ...نافع النفع كلمه لاستخراج نوع العلم تاريخا لا يمكننا فهما صحيحا حظ الصواب فيه أكثر من حظّ الخطأ و نصيب الوضوح فيه أوفر من نصيب الغموض"[1].

-يقول طه حسين في مقدمة كتابه " في الأدب الجاهلي ":"و كانت الجامعة القديمة قد أخذت تتغير هذا تغيرا قيما فعنيت بالمذهبين النافعيين في و قت واحد عهدت إلى المرحوم حنفي ناصف ثم المرحوم الشيخ المهدي بدرس الأدب و عهدت إلى الأستاذ جويدي ثم الأداب ...بينما كان الأولان يدرسان الأدب و نصوصه المختلفة دراسة نقد و تحليل فيه حظ عظيم من العناية بالنحو و الصرف و اللغة و البيان ،فيتبين في نفوس الطلبة حب الأدب العربي القديم و الميل إلى قراءته و استظهار الجيد منه نصوصه المختلفة و ينشئان فيهم الذوق و ملكة الإنشاء .كان

الآخرون يدرسون التاريخ الأدبي بمناهجهم الغربية الحديثة فيعلمون الطلاب كيفية البحث و يقارنون و يستبطنون و كان كلا الأسلوبين في الدرس يتمم صاحبه و يقوي أثره و يكون للطالب مزاحا أدبيا و علميا مستقيما خليقا إن يغير حياة الأدب العربي في شكلها و موضوعها كما يقول أصحاب القانون "[2].

- ففي هذا النص يقدم لنا عميد الأدب مقارنة بين مناهج التدريس عند شيوخ الأدب في الجامعة المصرية ومناهج المستشرقين في تدريس تاريخ الأدب وبين كيف كان يدرس الفريق الأول نصوص الأدب واستظهارها والاعتناء بعلوم اللغة العربية والبيان.

[1] نفس المصدر السابق،ص:368

[2] طه حسين في الأدب الجاهلي ،المقدمة عن شكري فيصل طه حسين بين المحافظة و التجدد ، ذكرى طه حسين العامة للكاتب ،ط1977.ص:340-341.

في حين كان المستشرقون منهم (جويدي، نيلينو ،وفيت) يقومون بتدريس تاريخ الأدب للطلاب وتدريبهم على البحث والمقارنة والاستنباط .

*كذلك كان لطه حسين قبل سفره إلى فرنسا عدد من المستشرقين الذين أثروا في حياة طه حسين ،وقد اثر ذلك في كتاباته وصرح بأنه معجب بهذا أيما إعجاب ومتأثرا بذلك تأثرا يعجز عن وصفه

الإنسان وكأنه وجد ضالته في هؤلاء أو اكتشف عالما سحريا يشبع كل غزائره وحاجاته المعرفية ،ومن هؤلاء المستشرقين :

جويدي (أغناليسو)[1] guidi_ كانت العلاقة العربية الايطالية وثيقة الصلة منذ الإمبراطورية الرومانية ثم توطدت العلاقة بدخول العرب المسلمين جنوب ايطاليا وصقلية في القرن العاشر الميلادي وازدهرت العلاقات الثقافية بين صقلية والعرب في عبد الملك لوجد الأول وبلغت عصرها الذهبي في عهد فريدريك الثاني عام 1250م الذي كان يتقن اللغة العربية ويكرم في بلاطة العلماء والشعراء العرب .

ليتمان إنوة littiman (1871 -1958) وهو واحد من أشهر أساتذة الاستشراق و أبرزهم قاطبة تخصص في الدراسات اللغات الشرقية وتدريسها و البحث و التنقيب عنها .

فكان أستاذا مهما في توبنجين والتحق بجامعة الأهلية بمصر (جامعة القاهرة)عند افتتاحها سنة 1988م للتدريس اللغات الشرقية ويتحدث طه حسين في الجزء الثالث من أيامه عن اساتذه ليتمان الذي كان يدرس كسريانية خاصة واللغات السامية عامة .

وقد خلف إينو ليتمان زميله عالم الصوت ابراهات نيتسلي في رئاسة قسم الدراسات الشرقية في تونبغن بألمانيا وبقي في القسم ثلاثين عاما والذي ما تزال أثاره فعاله وبالغة في شتى المجالات .ذلك انه جمع في آن واحد بين علم الساميات وتاريخ الحضارة الإسلامية درسا و بحثا ومن ضمن أعماله التي جاوزت الخمسمائة نركز على ترجمته الألف ليلة وليلة كنموذج للأدب الشعبي العربي ،وقد جمع مبادئه من خلال أسفاره الكثيرة للشرق [2]

---

[1] نجيب العفيفي –المستشرقون –دار المعارف القاهرة .ط4-1980 ج 2- ص: 437.

[2] غرنوت روتر :الدراسات العربية بجامعة نوبغتن ،مراجعة حسين حجازي مجلة الفكر العربي ،معهد الانتماء العربي .بيروت والهيئة القومية للبحث العلمي طرابلس ،ليبيا –ع 32 – السنة الخامسة 1983-ج2- ص173.

من الآثار البعثة الأمريكية الأثرية إلى سوريا 1899 – 1900م وقد نشرت بحوثها في خمسة أجزاء سنة 1900 ومنها الكتابات اليونانية واللاتينية

مارجتيوث-دفيد صمويل:Margoliouth-D.S[1] (1859-1940) : ولد بلندن درس اللغات الشرقية بجامعة أوكسفورد و عين بها أستاذا للغة العربية التي كان يتقنها. و هو واحد من أشهر أساتذة الاستشراق المتخصصين في العربية...وكان رئيسا لمعلمة الجمعية الملكية الأسيوية التي ينشر بها بحوثه و مقالاته و كان عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق و المجمع اللغوي البريطاني و الجمعية الشرقية الألمانية.

و من أثاره مختارات شعرية لأرسطو ترجمها الى العربية مي بن يونس و قد جاء متنها باللغة اليونانية مع التعليق عليها في جزأين (لندن 1787 و أوكسفورد 1911)و كذلك من بحوثه سيرة عبدالقادرالجيلاني (1907) و أصول الشعر العربي الجاهلي أو نشأته [2] (192ه و5) و القرآن (1923) و الزندقة في الاسلام و المسيحية و هو كذلك قد نشر أبي العلاء المعري ثم ترجمها الى الانجليزية مع صعوبتها ة ألف كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم بالانجليزية [3] و مع ذلك فهو غني عن التعريف و قد كان تأثير مارجليوت في طه حسين و نقده كبيرا حيث ورطه في تصريح بعض الانتقادات الأدبية التي أخرجته عن رأيه الصواب فخرج ببعض المغلطات فيما يخص الشعر الجاهلي ورد أغلب رواياته انطلاقا من أراء لا أساس لها.

أحمد محمد الغمراوي :ا"نني لا يقول ألوم الدكتور طه حسين الذي قصاره أن يسرق رأيا لمستشرقين أوربي خالف به جمهور المستشرقين فضلا عن علماء العرب و أ ينتحل هذا الرأي لنفسه متبجحا به"[4].

ماسينيون [5] Louis MASSIGNON(1883-1962) و هو من أكبر المستشرقين كان كاثولوكي المذهب لذا كان ابنا بارا للكنيسة الكاثولكية و ساعدته الكاثولكية على الفهم الفطري

---

[1] نجيب العقيقي :المستشرقون ج2-ص 77-78

[2] ميشال جحا الدرسات العربية و الاسلامية في أوربا مجلة الفكر العربي الاستشراق ط 2 ص :204.

[3] جورجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ج2 ص : 521.

[4] محمد احمد الغماراوي النقد التحليلي للشعر الجاهلي المقدمة بقلم شكيب أرسلان/ عن سامح كريم معارك طه حسيتن ص: 78.

[5] محمد البهي الفكر الاسلامي الحديث و صلته بالاستعمار الغربي ص: 556.

للتصوف عامة وساعده ذلك لفهم التصوف الاسلامي مما جعله يهتم به كعلاج حيث كرسالة عمله الأساس في فترة شبابه ماسنيوس درس عنه طه حسين في مصر (الجامعة عندما فتحت أبوابها سنة 1908) و و يعتبر المستشرق ماسنيوس هو من أول الأساتذة الفرنسيين الذي تتلمذ عنه طه حسين في جامعة القاهرة حيث درس على يديه الاصطلاحات الفلسفية سنتي 1912-1913.

الفصل الثاني

تعريف الترجمة:

أ – لغة:

تشير القراءات المعجمية إلى إن الترجمة في التعريف اللّغوي – بحسب ما أورد المعاجم العربية –مشتقة من مادة (ترجم)،فنجد في لسان العرب :"التُـرجمان التَـرجمان المفسّر للّسان و الترجمان بالضّم و الفتح ؟هو الذي يترجم الكلام ،أي ينقله من لغة إلى أخرى "[1] .وجاء في القاموس المحيط :" الترجمان كعنفوان وزعفران و ريهقان المفسّر للّسان ،و الفعل يذل على أصالة التاء ".[2]

أمّا في المعجم الوسيط،فترجم الكلام: بيّنه ووضّحه،و ترجم كلام غيره و عنه:نقله من لغة إلى أخرى،و ترجم لفلان :ذكر ترجمته،و التُرجمان:المُترجم و جمعه تراجم وتراجمه[3] إذا استقرانا الآثار الأدبية العربية القديمة ،فإننا نلقي مادة (ترجم)و مشتقاتها كترجمان و تراجم قد ترددت في نصوص مختلفة بين نثرية و شعرية منها.

فالجاحظ استعمل لفظة (ترجم)في حديثه عن ترجمة الشعر، حيث قال: " إن الشعر لا يترجم و إذا ترجم ذهب سحره و تقطّع نظمه و بطل وزنه و ذهب حسنه"·كما استعمل لفظة (ترجمان) و هو في معرض حديثه عن حركة الترجمة التي نشطت في عصره،فرأى "إن الترجمان يجب أن يكون عالميا بالّغة المنقولة و المنقولة إليها "[4].و قد و ردت أيضا لفظتا (ترجمان) و (تراجم) في شعر أبي الطّيب المتنّبي، و هو يصف شعب بوان، إذ، يقول:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص:66.

[2] الفيروز أبادي ،القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ،ط1، بيروت، 1987 ،ص:1399.

[3]- مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط ج1 مطابع الأوغنست شركة الإعلانات الشرقية ، ط3 1985، ص:87.

[4] المصدر السابق، ص،77.

مَلاعب جنّـة لـو ســَــــــار فيـها　　　سُليـمــان لســــار بــتُـرجـمــان.[1]

وقال يصوّر جيش الروم في معركة الحدث:

تجمع فيه كـــل لســـن و أمـــة　　　فما يفهم الحداث إلا التــراجـــــم.[2]

فممّا سبق ذكره يتبيّن أن لفظة (ترجمة) أخذت معنى أوضح ، و على هذا الوجه استخدمها ابن النّديم في مؤلّفه (الفهرست) وهو في صدد عرضه لكتاب كليلة و دمنة حيث قال :"فسره عبد الله بن المقفع غيره "[3].

فجعل الترجمة و التفسير شيئا واحدا، بيد أن معنى الترجمة تحول فيما بعد من الشمولية و العموم إلى التخصص من حيث هي تحويل الكلام من لغة إلى لغة أخرى.

ومن خلال ما أورد – كلّــه- سالفا نصل إلى أن "كلمة الترجمة و مثلها ترجمان و تراجم عربية النّجار و صريحة الأصل فصيحة لا لبس فيها ،و هي ليست من أصل أعجمي و لا محولة عن معنى آخر " .[4]

ب-اصطلاحا:

أمّا الترجمة في المفهوم الاصطلاحي ،فتعني نقل المعنى من لسان إلى آخر بلغة الملفوظات أو بإشارات أو برموز دلالية أو هي "بمعناها المتخصّص تعني النقل من لغة ورموز أخرى ،بأقصى قدر من الأمانة إلى لغة متلقية ،و هذا عمل يتطلب قدرة و سِعة اطّلاع و تمكن من لغتين على الأقل ليتسنّى تحقيق مفهوم الترجمة بمعناها الدقيق".[5]

---

[1] - أبو الطيب المتنبي الديوان ج1 شرح عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب بيروت لبنان 1980 ص:384.

[2]- المصدر السابق،ص:100.

[3]-ابن النديم الفهرست الدار التونسية للنشر ،ط1،تونس ،1985،ص :523.

[4] - شحاذة الخوري ،دراسات في الترجمة و المصطلح و التعريب ،دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، ط1،بيروت ،1989،ص:52.

[5] -عبد الودود العلي،مفهوم الترجمة و تطوره و معناه ،مجلة المترجم ،ع1،س1987،ص101⍰89.

لقد عرّف الأديب الألماني كارل ديديتسيوس الترجمة،وهو في معرض حديثه عن علاقتها بالمجتمع ،في مقال له بعنوان (الترجمة و المجتمع) على أنها "الوساطة المتلفّظة بين اللغة و اللغة "[1].منا عرفّها في موضع أخر بقوله :"فما هي الترجمة ؟ إنها عبارة عامة مبهمة تطلق على إمكانات كثيرة ،و مف اهيم كثيرة ،و مستتبعات كثيرة .

إنها عبارة إسفنجية ،حدودها عائمة "[2].

وكارل ديديتسيوس يفرّق بين مفاهيم ثلاثة :الترجمة و النقل و الاقتباس ،فيرى أن الترجمة تتبع الأصل اتباعا دقيقا دون أن تلتزم بالنواحي الفنّية،أما النقل فيحرص على النواحي الفنية و يوشك في الوقت نفسه أن يكون دقيقا ،و أما الاقتباس فهو صياغة فنّية مرسلة تنقل الأصل على غير دقيق"[3].

و حسب كارل فإن الترجمة تتنوع و تتباين بحسب قدرة المترجم و تحكمه في عملية الترجمة ،و من ثم فهي "ضروب كثيرة فهناك الترجمة الجيدة و المؤسفة و الأمينة و الحّرة و السطرية ،و النقيضة و التفسيرية و المطابقة ، بل المضاهية التي يسري فيها دم الأصل و روحه "[4].

ولاشّك في أن الترجمة بعد أن كانت قديما فنّا مبدعا أو كتمرين أدبي [5] من حيث الأداء و الطريقة ،فإنها أضحت اليوم علما قاصما بذاته بخضوعها للمناهج العلمية الدقيقة ،و هذا لا يعدم أنها كسرت الحدود الفنّية بوصفها إبداعا من نوع خاص ، من شأنه أن ينتج متعة جمالية و فلسفة فنّية ،بل يكرس مفهوم الجمالية الأدبية و اللّذة النصوصية على اختلاف ألوانها الشعرية

---

[1]-مصطفى ماهر،ألوان من الأدب الألماني الحديث،دار صادر بيروت ،1974،ص:391.

[2] -ألوان من الأدب الألماني الحديث ،ص:392.

[3] -المرجع نفسه ،ص:393-394.

[4] - المرجع السابق، ص:393.

[5] - جورج مونان ،اللسانيات و الترجمة،ترجمة :حسين بن زروق ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2002،ص:63.

و النثرية .فالترجمة في حقيقتها ليست "عملية علمية كلية و لا لغوية كلية ،بل أنها كما يقول (كاري)عملية فريدة من نوعها "[1]

إن الترجمة قديمة قدم الإنسانية على وجه البسيطة ،فقد كانت و مازالت من أهم و سائل الاتصال و الإبلاغية و التفاهم و التفاعل و المثقفة بين الشعوب ،عملت و تعمل على تحقيق الوساطة اللغوية من شعب إلى شعب [2] باعتبارها الطريق التي تسلكها اللّغة الأجنبية إلى المجتمع ،و التي يسلكها المجتمع إلى هذه اللغة و من هنا تصبح كما يقول (فريديريك شيلر ماخير):الترجمة ضرورية جوانية ،و تتجلى ضرورتها كما يرى (مارتن هيدغر)في أننا نمثل عن طريقها أمام فكر الآخر و لغته.[3]

و لما كانت الترجمة ضرورية زادت حاجتنا إليها ذلك أنها دعوة إنسانية تلحّ على المعرفة و التفاهم ، و تؤكد عى التوافق و التضامن و تحث على تقارب الآراء و المشاعر بين جميع شعوب العالم ،و على هذا الأساس اعتبرت الترجمة من أهم العوامل الأساسية في تحويل الأفكار و نقل المشاعر و الاحتكاك بالتيارات و المذاهب الأدبية و الفنية و النظريات العلمية سواء داخل الرقعة الوطنية الواحدة أو تعدادها إلى ما وراء الحدود من حيث أنها "ليست تبليغا مجرّدا بسيطا و لكنها في أبعادها الواسعة تأثّر و تأثير و اندماج في تيارات فكرية و ذوقية عميقة"[4].

إن التأثير و التأثر احد قوانين الأساسية في الطبيعة فكل شيء يؤثر فيما و يتأثر فيه و المؤثرات الأجنبية تنتقل عن طريق الإتصال المباشر أو الترجمة،و يلاحظ أن نمو الأدب جاء مع حركة

[1] - المرجع السابق، ص:96.
[2] - ألوان من الأدب الألماني الحديث ،ص:395.
[3]- عبد النبي ذاكر، مقارنة بين ترجمتين عربيتين، مجلة العرب و الفكر العالمي، مركز الإنماء القومي بيروت، بيروت، لبنان، ع7، سنة 1989، ص:112.
[4] - المرجع السابق، ص:78.

ترجمة واسعة ..و يرى أن المؤثرات الغربية بلغت مبلغا كبيرا في الستنيات و السبعينيات مع الأدب الوجودي و أدب العبث و اللامعقول ان الترجمة لها اسهامات فعالة في

حماية زخم كبير من التراث الإنساني من الضياع و نشير إلى دور العرب و المستشرقين في هذا المجال .

الترجمــة عند العــرب :

من أشهر المترجمون العرب :

لقد و جد هؤلاء المترجمون صعوبة في عملية نقل العلوم و ترجمتها إلى العربية ، فسلكوا في عمليتهم هذه الترجمة الحرفية مخافة الابتعاد عن الأصول، ثم تطورت عملية الترجمة حيث أصبح المشتغلون بها يهتمون بالمعنى فعمدوا إلى ترجمة المعاني و إهمال المفردات و قد كان المترجمون المسلمون من قوميات مختلفة من عرب و فرس و سريان و أقباط و يهود و يونان

ومن أشهر هؤلاء المترجمون :آل بختيشوع الذين درسوا الطب و الفلسفة في مدرسة جند سابور و تفرقوا في ذلك و برعوا .

وآل حنين ،وهم من عرب الحيرة يدينون بالمسيحية منهم :

أبو زيد حنين بن أسحق[1] :اشتهر بالترجمة عن السريانية إلى اللغة العربية ،و قد اعتمد في ذلك على ما ترجمه سابقوه من اليونانية إلى السريانية ، يقول عنه ابن أبي أصيبعة:"كان عالما باللغات الأربع غريبها و مستعملها :العربية و السريانية و اليونانية و الفارسية و نقله في غاية من الجودة .[2]

[1] -هو أبو زيد حنين بن اسحق العادي عربي نصراني من الحيرة تتلمذ على الخليل بن أحمد، و اشتهر في الطب و الترجمة ببغداد و لد سنة 194هـ و توفي سنة 264هـ ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،شرح و تحقيق :نزار رضا ،دار مكتبة الحياة بيروت ،ص:258.

[2] - المصدر السابق، ص:279.

ابنه أبو يعقوب أسحق بن حنين[1]:وقد أخذ عن والده إتقان اللغات الأربع :العربية و السريانية و اليونانية و الفارسية ، وكان بارعا في الترجمة و النقل عن اللغات و كان "عذب العبارة فصيح الكلام "[2]،و لكن والده حنين كان أكثر منه تصنيفا و نقلا .

- حبيش الأعسم الدمشقي [3]:ابن أخت حنين أخذ اللغات والنقل عن أستاذه.

- قسطا بن لوقا البعلبكي[4]:و هو من أشهر المترجمين المهرة كان فصيحا في اليونانية و جيد العبارة العربية ومان جيد النقل فصيحا باللسان اليوناني و السرياني و العربي ...وله رسائل و كتب كثيرة في صناعة الطّب.

ثابت بن قرة[5] : من العراق تخصص في ترجمة كتب الفلك و الرياضيات .

- ابن سنان الطبيب :تخصص في ترجمة كتب علم الفلك.
- البتاني:تخصص في رصد النجوم .
- إبراهيم أبو إسحاق الصابئ.
- أما الترجمة من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية فقد اشتهر فيها ابن المقفع، آل ذوبخت ، والحسن بن سهل في الأدب .

و أما الترجمة الهندية فقد اشتهر فيها ابن دهـن ، و منـكه وهو ما هنديان .

---

[1] - المصدر السابق، ص:274.

[2] - المصدر السابق، ص:279.

[3] - المصدر السابق، ص:276-279.

[4] - المصدر السابق، ص:230.

[5] - هو أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني و لد سنة 221هـ و توفي سنة 288هـ،ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء،ص:295.

وقد أحصى ابن أبي أصيبعة في الباب التاسع ثمانية و أربعين طبيبا و عالما و مترجما أو ناقلا للعلوم من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية فقط أما الباب الثامن فقد صدره بالحديث عن آل بختيشوع منهم جورجيوس بن جبرائيل[1] كان في زمن هارون الرشيد فلقد كان ابن أصيبعة يجد

ثبتا بتراجم الأطباء و الحكماء الذين اشتهروا بالعلوم عامة و الطب خاصة و الترجمة على وجه الخصوص.

ومع ذلك كله لم تكن الترجمة العربية عن اليونانية و السريانية و اللاتنية كلها صحيحة علمية كانت أم أدبية و إنما كانت تتعثر فتصيب أحيانا و تبتعد عن الصواب حينا أو تتعرض للتحريف مثلا ،ومن ذلك نجد الشيخ الرئيس ابن سينا قد ذكر اسم "أيسيودس" و هي ترجمة محرفة "و هذا التحريف في الإسم و قع له عن طريق الترجمات العربية القديمة عن اليونانية..."[2].

أما في العصر الحديث فقد أنشأ محمد علي في مصر مدرسة الأسن بالقاهرة و عين رفاعة رافع الطهطاوي مشرفا عليها ، فاهتمت المدرسة بدراسة اللغات الأجنبية و ترجمة الكتب.

و اشتهر عدد من الأدباء بالترجمة إلى اللغة العربية ، من اللغة الفرنسية خاصة منهم :

عثمان جلال الذي ترجم قصص الحيوان عن الشاعر الفرنسي لافونتان بل مصرها حيث صاغها في قالب عربي يجمع ما بين الفصحى و العامية [3] و عنون كتابه المترجم ب "العيون النواقظ".

ابراهيم العرب ،و قد اشتهر بالترجمة عن الإنجليزية خاصة فهو الذي ترجم كتاب "مقالة في الإسلام" للكاتب الإنجليزي جورج صال إلى اللغة العربية سنة 1871،و قد اعتمد طه حسين على الأفكار الواردة في هذا الكتاب في تأليف كتابه في الشعر الجاهلي "مثل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام و القول بنحل أغلب الشعر الجاهلي حيث يتفق مع فكرة المستشرق الإنجليزي مرجليوت أستاذ طه حسين.

---

[1] - المصدر السابق،ص:183.

[2] -محمد حسن العبيدي ، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،ص:129.

[3] - عثمان جلال ،العيون اليواقظ في الأمثال و المواعظ ، تحقيق :عامر محمد بحيري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ،1978،ص:19.

أحمد شوقي:وقد ترجم كتاب"القصص على لسان الحيوان"الذي ألفه لافونتان La fontaine في قالب قصصي بأسلوب عربي فصيح .ذ

و أما عن ترجمة القصة و الرواية ،فيقول الدكتور سيد حامد النساج:ومن غير شّك كانت هذه الروايات المترجمة و المعربة تغير من ذوق الجمهور و تصله بالآداب الأخرى ،و تهيئه لتقبل هذا الفن الجديد من فنون الأدب ، كما أنها جعلت الكتاب يتجهون إلى ترجمتها حتى من كان منهم ينزع من الآداب القديم، و يتمسك به ... فهم أيضا تحولوا إلى الترجمة و أخذو يقبلون عليها ، ومن كان منهم لا يعرف اللغة الأجنبية لجأ إلى الذين يعرفون هذه اللغة و تناول ترجماتهم ثم بدأ في صياغتها صياغة جديدة تناسب ذوق الفئة القارئة...[1] و له ترجمات أخرى عن موليار تحت عنوان "الأربع روايات ، في نخب تيارات " .

الترجمة عند طه حسين

إن الحديث عن الترجمة عن اللغات الأجنبية قديمها و حديثها موضوع لا طالما شغل فكر طه حسين و عقله ،فهو الذي دافع عن إدخال اللغتين اليونانية و اللاتينية للمدارس و الجامعات كما دافع عن تعليم اللغات الأجنبية الحية الحديثة و اللغات الشرقية كالعبرية و الفارسية لارتباط مصر بالعالمين الغربي و الشرقي معا و امتزاج الحضارة المصرية بكل الحضارات المجاورة اليونانية و الرومانية و الحضارة الفارسية و العربية و هو لم يلح على تعلم هاته اللغات من أجل التعلم و إنما لاكتساب وسيلة هامة من وسائل البحث العلمي و الأدبي عن طريق الإطلاع على ما كتب عند تلك الشعوب ،و الانتفاع به ثم ترجمته إلى اللغة العربية .

يقول طه حسين :" وفي حياتنا العقلية تقصير معيب يصيبنا منه كثير من الخزي كما يصيبنا كثير من الجهل وما يستتبعه الجهل من الشّر .ولا بد من إصلاحه إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا و نعيش عيشة الأمم الراقية ، و إن كنا نريد أن ننصح للعلم نفسه و نشارك في ترقيته و تنميته

[1] - المرجع السابق، ص:67.

،و إن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة ، ومن الخمود و الجمود إلى النشاط و الإنتاج ،ومظهر هذا التقصير المخزي إهمالنا الشنيع للترجمة و النقل عن اللغات الأوربية الحية .فما أكثر الآثار العلمية و الفنية و الأدبية التي تنعم بها الإنسانية الراقية و ما

أشّد جهلنا لهذه الآثار و غفلتنا عنها ! و ما أقل حظنا من الاستمتاع بلذاتنا الفنية الممتازة .وما أكثر حديثنا عن مجد العرب و مزجوها بتراثهم و غذو بها عقولهم و قلوبهم و كونوا منها حضارتهم "[1]. بهذه الفقرة يفتتح طه حسين فصلا عن الإنتاج العقلي في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر "هذا الكتاب الذي أقام الدنيا و أقعدها عند العرب و المسلمين منهم المناصرون ومنهم المناهضون لما جاء به من أفكار حديثة متطورة يريد بها تطوير العلم و التعليم و الثقافة في مصر و محاربة الشعوذة و الزيف و التواكل و الجهل فقدم خطة و برنامجا ثريا لإصلاح التعليم و الثقافة و توجيههما التوجيه السليم الذي تتطلبه مقتضيات العصر .

طه حسين يرى بأن الترجمة عملية خاصة لها فيئتها الخاصة :هذه النخبة المثقفة لها القدرة على استيعاب الثقافات الأجنبية و صهرها ثم نقلها إلى اللغة العربية ،و لا يعقل أن يكون كل المؤلفين و المثقفين في اللغة العربية قادرين على الترجمة و إنما مجموعة منهم تتكفل بهذه الأعمال الشّاقة و الضرورية في آن واحد.

يقول :...إن من غير المعقول أن تكلف كثرة القارئين الكاتبين في أمة من الأمم إتقان اللغات الأجنبية فلا بد من تنتقل لها خلاصة هذه اللغات إلى لغتها العربية ذلك حق لها على الدولة و هو حق لها على المثقفين القادرين على الترجمة "[2] ووجود نخبة مثقفة متمكنة من اللغات الأجنبية و حدها لا تكفي و إنما هناك أسباب أخرى لا بد أن تتوفر لتسيير عملية الترجمة إلى الأحسن لخدمة الأمة ،و يتطلب هذا العمل الشاق الإلمام بدقائق الحياة العقلية الأوربية[3] و أيسر مظاهرها

[1] - طه حسين ،مستقبل الثقافة في مصر ،ص:274.
[2] - طه حسين ،مستقبل الثقافة في مصر ،ص:275.
[3] - المصدر السابق، ص:274.

و ألا تتصرف هذه النخبة القادرة على الترجمة إلى أعمالها اليومية القاتلة المتعبة حتى لا تستهلك فيما لا ينفع ،و أن نحبب القراءة إلينا و إلى أبنائنا ، وبعد ذلك " فلنترجم إذا و نكثر من الترجمة ،و لنبذل في دلك أقصى ما نملك من جهد و أكثر ما نستطيع من المال "[1]

ومن الإقتراحات البناءة و العلمية التي يراها طه حسين نافعة لعملية الترجمة هي إنشاء مكتب للترجمة بوزارة المعارف يقول في ذلك :"و إذا كانت وزارة المعارف[2] تمنح الإعانات لكثير من الجماعات و الهيئات التي يشك في نفعها ،فلا أقل من أن تنشأ مكتبا للترجمة على أن يكون عمله منوعا بعض الشيء ،فينهض بنقل الآثار الأدبية و العلمية و الفلسفية الخالدة التي أصبحت تراثا للإنسانية كلها و التي لا يجوز للغة حية أن تخلو منها من مرونة و للإرضاء الكرامة القومية ...ثم يترجم هذا المكتب الآثار الثقافية الوسطى التي تتجه إلى عامة المثقفين،و واضح جدا أن هذا المكتب لن يستطيع وحده أن ينهض بهذه الأعباء الثقال.فلا بد من تشجيع المترجمين و إغرائهم بالمال ."[3] وعمل الترجمة هذا يدر على الفرد و المجتمع و الدولة ربحا و فائدة عظمى و ينمي لديه القدرة على التفكير العلمي الصحيح و يقرب إليه العلوم الحديثة و يبسطها "سيغذي اللغة و يحييه ، و سيغذي العقل المصري و ينميه ،و سينشر الثقافة و يذيعها و سيقرب بين الطبقات المختلفة في الشعب ،و سيحقق الكرامة القومية التي تريد أن ترفع من الجهالة و الغفلة ، و ألا تكون صفوتها دون غيرها من صفوة المثقفين في الأمم الأخرى ،و ألا تكون عامتنا دون غيرها من عامة الناس من الأمم الأخرى أيضا "[4].

فقد تشبع بالثقافة الغربية عامة بعد أن تعلم اللغة الإغريقية واللاتينية و الفرنسية و أتقنها حيث أصبح يترجم منها إلى بعضها بعضا و إلى اللغة العربية و منها إلى هذه اللغات في سهولة و يسر مما سهل الكتابة عليه و التأليف في الآداب اليونانية و اللاتينية و الفرنسية .فقد كان يتعامل

---

[1] -المصدر السابق، ص:275.

[2] - وزارة المعارف هي وزارة التربية و التعليم قديما.

[3] - المصدر السابق ،ص:175-176.

[4] -المصدر السابق ،ص:176.

معها بذكاء و فطنة :حيث إنه لم يترجم إلا ما كان يراه يخدم المصلحة العامة للمجتمع العربي عامة و كان الهدف الذي يصبو إليه من هذه الأنواع من الترجمة و الكتابة إصلاح المجتمع نقد بعض العادات البالية ،نقد بعض الأمور السياسية ، ونقد الملك نفسه و بعض الشخصيات المرموقة إذا لم توافق المصلحة العليا للمجتمع و إذا رجعنا إلى رواية "أحلام

شهرزاد " نعرف بحق أنه يقصد الملك و المُلك و الأنظمة المتعفنة التي تستبد بالجهل و تحارب العلم و العلماء و إن جاء ذلك بأسلوب رمزي طريف يتخذ من الجن و الأساطير مطية له ، وكأنه يسخر من الملوك التي تحجرت عقولها و لم تعد تفهم ما يقال و ما يكتب فيستعمل فنّ الإبيغراما الساخر لتقديم الانتقادات اللاذعة للحكومة و المجتمع معا .و كان يرى في المسرح اليوناني و الفرنسي أهم و سيلة للنقد و الإصلاح مع ما يجريه من تعديلات و تحويرات على المسرحية مما يخدم من المصلحة العامة و يتماشى مع المجتمع الذي يطمح إليه أو إلى تكوينه.

ففي سنة 1920 ينشر كتابا عن **الشعر التمثيلي** هند اليونان ، تحت عنوان :"صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان "،طبع بالقاهرة .

و في سنة 1921 يكتب عن أرسطو طاليس و نظام الاثينيين طبع بالقاهرة .

وفي سنة 1925 يكتب عن **قادة الفكر** من اليونان و الرومان بمجلة الهلال القاهرة.

و في سنة 1938 يترجم أنتيجونا ،لسوفوكليس و يطبع بالقاهرة .

وفي سنة 1939 ترجم مجموعة من مسرحيات سوفوكليس منها (إلكترا – اياس –انتيجونا و أوديبوس ملكا)و يطبع بالقاهرة .

وفي سنة 1946،يترجم طه حسين كتاب :من أبطال الأساطير اليونانية :أوديب و ثيسيوس "لأندري جيد "،و يطبع بالقاهرة .

وفي سنة 1947 ،يترجم مسرحية "أوديب "لسوفوكليس،و يطبع بالقاهرة .

و قد شملت ترجمة الدكتور طه عددا من الكتب الهامة منها :

ـ كتاب "التربية العاطفية " أو "روح التربية" [1] ،"L'Education Sentimentale" لغوستاف لوبون "Gustave lebon" ،طبعته دار الهلال سنة 1921 ثم طبع سنة 1913.

ـ مسرحية "أندروماك" لراسين .طبعت بالقاهرة سنة 1935.

ـ رواية "زاديغ "أو" القدر "لفولتير .

ـ مسرحيات فرنسية و أوربية ترجمها تحت عنوان "قصص تمثيلية ".

مسرحيتي "أوديب و ثيسيوس لأندري جيد [2] Gide، و طبعها بالقاهرة 194.

مسرحية "أوديب "لسوفوكليس "و طبعها بالقاهرة سنة 1947.

تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية ،لنللينو طبع بالقاهرة سنة 1956.

منهج طه حسين في الترجمة :

لا يتقيد طه حسين في ترجمته للقصص الفرنسي خاصة ،إلا بالزمان و المكان و أسماء الشخصيات و ما عدا ذلك فهو حرّ طليق يحلق في فضاء ترجمته فيلخص أحداث القصة و يحللها و لا يكتفي بأن يقبع وراء هذه الأحداث و الشخصيات و لا يفضل السكوت بل غالبا ما يتدخل فيعلن رأيه و يعيش مع شخصيات هذه القصة داخل الأحداث لينقل لنا المغزى الذي يريد أن يصل إليه و يصبو إلى بثه ، يقول :"...و لني محتاج قبل كل شيء إلى أن أعترف بحقيقة كنت أحب ألا أعترف بها ، وكنت أستطيع ألا أعترف بها لولا أنى أخذت نفسي بألا أخدعك

---

[1] ـ طه حسين ،كتب و مؤلفين ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1984/2 ،ص:227 و ترجم العنوان "بروح التربية "وقد نشرت هذه الترجمة دار الهلال سنة 1943،ثم ترجمة الكتاب مرة ثانية بقلم عادل زعيتر ،طبع بالقاهرة سنة 1949،منشورات دار إحياء التراث ،مطبعة عيسى بابي الحلبي.

[2] ـ كتب أندري جيد هذه المسرحية سنة 1931 ،انظر ج لا نسون ،تاريخ الأدب الفرنسي ترجمة محمد القصاص ،ج2،ص:537.

فيما أكتب و بأن .أظهرك في وقت و احد على نفس الكاتب الدي أحلله و على نفسي أنا أيضا وقت التحليل .فأنا لا أتنقب لاأو أستتر حين أتحدث إليك ،و إنما ؟أظهر كما أنا ،و أتحدث إليك صاقا مخلصا ...فلم أحلل قبل اليوم فكاهة تمثيلية و أحسب أن اللغة العربيى التي

أحب أنة أصطنعها في هذه الفصول لا تسع في سهولة و يسر هذه الألوان من الغيث الأجنبي فلا بد من جد ، و لابد من جهاد لأستطيع أو أوفق بين اللغة العربية و بين عبث الفرنسيين ، و غيرها الفرنسيين .و كم من فكاهة تمثيلية قرأتها فاستغرقت لها في الضحك ،و سعدت بها يوم أو بعض يوم ووددت[1] لو استطعت أن أوثر القراء بشيء من اللهو ،و لكني أعرضت عن ذلك عجزا "، ولهذا جاءت ترجمات طه حسين مخالفة تماما لكل أنواع الترجمة فهي ملخص للعمل الأجنبي و نقل إلى اللغة العربية في أسلوب فصيح سهل لا وعورة فيه و لكنه يختلف في دقائقه و جزئياته عن العمل الأصل .

الترجمة الأدبية والمؤثرات الأجنبية

الترجمة"[2]" الأدبية والأدب المقارن للنص الأصلي، وضاعت جهود كبيرة لم تكن دائماً مفيدة. كان يحاول التركيز على جانب آخر من الترجمة و علاقتها بالمؤثرات ، و كذلك فيما يتعلق بدراسة تلقي الترجمات على مستويات متعددة، بعيداً عن المطابقة الحرفية بين الترجمة والنص الأصلي.

إن دراسة تلقي الترجمات تسمح لنا برؤية الفعل الحقيقي لهذه النصوص في المنظومة الثقافية التي تستقبلها. وقد يؤدي هذا الفعل إلى خلخلة مجموعة من الثوابت الفنية، أو الفكرية، أو الاجتماعية. ونعتقد أن هذا الجانب له الأهمية الأولى في البحوث التي تتناول دراسة الترجمة وعلاقتها بالأدب المقارن.

---

[1] - طه حسين ،صوت باريس ج1،مجلد 13،قسم 2،ص:436.

[2]-قسم اللغة العربية كلية الآداب و العلوم و العلوم الإنسانية- جامعة دمشق-

يسمح لنا الأدب المقارن بفهم كثير من الآليات التي تتحكم بعملية الترجمة على مستوى الأفراد والجماعات، بحسب توجه الرأي العام. إن غياب مراكز البحوث في البلدان العربية والتي تتبع عملية الترجمة واستقبالها يحرم مراكز القرار في هذه البلدان من التحكم بالرأي العام العربي والعالمي. يحاول هذا البحث أن يلفت النظر إلى هذه المسألة الخطيرة .قسم اللغة

يوماً بعد يوم تنهار الحدود الفاصلة بين العلوم المختلفة بسبب حاجة هذه العلوم بعضها إلى بعض، خاصة في مجال العلوم الإنسانية. فمن يستطيع اليوم الفصل بين علم النفس، وعلم الاجتماع،..الخ؟ ومن يستطيع الفصل بين المناهج النقدية المختلفة التي قامت على أسس فلسفية وعلمية؟ ولذلك يجب على القارئ أن ينظر إلى عنوان هذه الدراسة على أنه يأتي في سياقه الطبيعي، لأن دراسة الترجمة تنتمي في قسم كبير منها إلى الأدب المقارن بالمعنى المقصود في هذه المؤثرات .منذ أن بدأ وعينا المعرفي يتشكّل، وجدنا أمامنا روائع الأجنبية للآداب العالمية المترجمة إلى اللغة العربية، بدءاً من شكسبير ودانتي، مروراً بآداب القرون الوسطى الأوربية، وانتهاء بترجمات روائع الأدب الروسي والأدب الفرنسي، والأدبين الإنكليزي والأمريكي. ولهذا لا نبالغ إذا قلنا إن الترجمة شكلت بصورة مباشرة أو غير مباشرة جزءاً من شخصيتنا، وجزءاً من ثقافتنا، إلى حد أنه لا يمكن تخيل الثقافة الحديثة دون هذا الوسيط المثمر بين اللغات والثقافات والذي نسميه: الترجمة.

وإذا كانت الترجمة تذكرنا بوجود الآخر المختلف عنا ثقافياً، واجتماعياً، ودينياً.. فإنها تذكرنا أيضاً بوحدة الفكر الإنساني الذي لا يمكن أن نعيش على هامشه، لأن العزلة تعني الموت، مثلما يقول المقارنون، كما أنها تجعلنا أكثر قبولاً للآخر المختلف عنا في وقت تحاول فيه بعض الدوائر الغربية في أوربا وأمريكا تثبيت بعض المقولات التي تهدف في النهاية إلى نفي الآخر وإلغائه، وطمس هويته، وتغليب منطق القوة في العلاقات الإنسانية على جميع مستوياتها. تذكّرنا الترجمة بأن الآخر لا يتكلم لغتنا، فهو إذن مختلف عنا في ثقافته، وفي قيمه، وعلينا قبول هذا الاختلاف، لأن الآخر ليس هو الشبيه وإنما هو المختلف الذي يقاسمنا الحياة. ولهذا فإننا اليوم أحوج ما نكون

إلى الترجمة بمفهومها الإنساني، أي التي تمد جسور التواصل بين البشر بغض النظر عن الجنس والعرق والموطن، وبعيداً عن العقلية المركزية التي تهيمن على الفكر الغربي.

إن الترجمة هي التعبير اللغوي والأدبي عن تباعد بين ثقافتين، وعن اختلاف، لا بد من الاعتراف به وقبوله قبولاً صريحاً عبر القبول بمبدأ الترجمة. صحيح أن هناك من يقول إن الترجمة هي تعبير عن نقص بالمعنى السلبي للكلمة، ولكن يجب ألاّ ننسى أن الأمم المتقدمة علمياً وثقافياً أكثر اهتماماً بنقل المعارف الموجودة في لغات أخرى، ويكفي أن نذكر في هذا المجال: فرنسا، وألمانيا، واليابان .. وهذا يعود إلى أن العلوم والفكر والثقافة لا يمكن حصرها في لغة واحدة مهما تكن هذه اللغة. هذا يكفي لنقض نظرية المركزية الأوربية التي تحدث عنها جاك دريدا، صاحب الاتجاه التفكيكي من جهة، وتثبيت مقولته عن عدم وجود مركز ومحيط، وأساسي وثانوي في الحياة، من جهة أخرى، لأن المركز من دون محيط لا يساوي شيئاً، والأساسي لا يكتمل إلاّ بأجزائه الأخرى التي تنقصه والتي نسميها بصورة تعسفية الأشياء الثانوية، فما قيمته إذن من دون أجزائه"[1]"؟ وفي هذا إجابة عن سؤال يراود أذهان كثيرين ، وهو: لماذا نترجم؟ وعندما نطرح هذا السؤال تظهر أمامنا أسئلة أخرى، مثل: كيف يتم اختيار النصوص المراد ترجمتها؟ وكيف يأخذ النص المترجم مكانته ضمن المنظومة الأدبية المستقبِلة؟ ولماذا؟ وما وظائفه ضمنها؟ وما التعديلات المتوقعة التي سيحدثها فيها؟ ليس من السهل الإجابة عن هذه الأسئلة في وقت تدور فيه الدراسات الترجمية عن أشياء لا تعبر تعبيراً حقيقياً عن واقع الترجمة وأهدافها، لأن الإجابة عن هذه الأسئلة، بشكل يقيني، تتطلب دراسات إحصائية على مستوى البلدان. وهذا عمل يحتاج إلى مجموعات عمل ضمن مؤسسات ترعاها المنظمات الدولية، أو الحكومات.

[1]-يقوم منهج جاج دريدا على تحليل الخطاب الغربي الذي يتمركز حول نفسه و من هنا جاء مفهوم المركزية الأوربية التي حاول دريدا نقذها و يمكن العودة للتوسع الى كتابه : جاك دريدا –الدار البيضاء دار توتبال 1988-انفعالات – ت-عزيز توما اللاذقية دار الحوار 2005.

تحاول هذه . كانت الدراسات القديمة تركز علـى عمليـة الطريق أمام هذا النوع من الدراسات الترجمة، وآلياتها، ومطابقتها للنص الأصلي، وما الانزياح الذي يحصل فـي الـنص المترجم، ولكنها لم تنتبه إلاّ فيما ندر على عملية الانزياح الحاصلة في الثقافة المستقبِلة ، وهي تتعرض إلى خلخلة قد تكون أحياناً عميقة جداً. أصبح الحديث عن الترجمـة، وعن بعدها وقربها من

النص الأصلي غير كافٍ، لأن النص المترجم وهو يغير بيئته، وجمهوره، ولغته، وسياقه، لا يتوقف تأثيره عند بعض الألفاظ التي قد تبتعد عن دلالتها الموجودة في النص المصدر. إن الترجمة تعني أن ننقل نصاً من ثقافة إلـى ثقافة أخرى، ومن منظومة أدبية إلى منظومة أدبية أخرى. إنها إدخال نص في سياق آخر. إن قارىء الكتب المترجمة لا يهمه كثيراً أمانة الترجمة، بمقدار ما يهتم بالنص الموجود بين يديه، فيتفاعل معه بطريقته الخاصة سلباً أو إيجاباً، بعيـداً عـن الـنص الأصلي الذي قد لا يعرفه.

ولهذا ذهب بعضهم إلى النظر إلى النص المترجم على أنه نص جديد له منطقه الخاص به وإن كان يرتبط بالنص الأصلي ببعض الروابط التـي لا تلغي هويته الجديدة.هل الجمهور في اليابان الذي استقبل رواية غوته (آلام الفتـى فيرتر) بعد ترجمتها إلى اللغة اليابانية، هو الجمهور نفسه الذي اسـتقبل العمـل فـي نسخته الألمانية، أو الجمهور الذي استقبل العمل بنسخته الفرنسية؟ وهل كان التـأثير هو نفسه في الحالات كلها؟ جوابنا هو بالنفي، إذا نظرنا إلى الدراسات[1] التـي تابعـت.

ولهذا يبدو ضرورياً ربط البحوث التي تتناول تأثير أعمال غوته في بلدان عديدة"[2]" الترجمة بالبحوث التي تدرس التلقي، أي دمج دراسة النصوص المترجمة بتفسير فعل هناك الذي هو عملية مركبة ومعقدة يصعب تأطيرها ضمن إطار واضح، لأنـه يصعب تأطير النفس البشرية ضمن إطار واضح. جاء الوقت الذي يجب أن تنتقل فيه دراسات الترجمة من الجدالات النظرية التي غرق بها الدارسون، وتركزت على أمانة الترجمة، إلى بحوث تتناول الطرف الآخر الذي

---

[1]- عبود الأدب المقارن مدخلات نظرية و نصوص و دراسات تطبيقية جامعة دمشق 2000 ص:307.
[2] - تبير برونيل - الوجيز في الادب المقارن ــت- غسان السيد دمشق مطبعة زيد بن ثابت 1999 ص:94.

تتوجه إليه الترجمة وهو المتلقي .صحيح أن النص المترجم يحاول دائماً أن يذوب، بطريقة أو بأخرى، في النتاج الأدبي للبلد المترجِم أو في(الثقافة المستقبِلة)، إلاّ أنه يحتفظ ببعض السمات التي تذكّر بأصله الأجنبي، وسيبقى دائماً أدباً مستورداً، أو قطعة دخيلة ضمن المنظومة الأدبية التي تستقبله، مهما نجحت محاولة دمجه بالأدب المستقبِل.

معنى ذلك أن الأدب المترجم لا يستطيع أن يمحو بصورة كاملة أصله الأجنبي، وسيثير قراءات ليست فقط ذات قيمة جمالية، ولكن أيضاً ذات قيمة فكرية. إن قراءتنا للرواية الروسية المترجمة إلى اللغة العربية، أو لأي رواية أجنبية أخرى تحاول أن توفق بين القيمة الجمالية والقيمة الفكرية.

ونعتقد أن سبب اختيار رواية الأم لمكسيم غوركي لتدرس في المدارس السورية، في مرحلة من المراحل، يعود إلى اقتناع المشرفين على التعليم بأن هذه الرواية تجمع بين القيمتين. ولهذا فإن دراسة هذه القراءات تؤدي إلى وعي الطبيعة الخاصة لبعض التبادلات الأدبية العالمية، والتي تتعلق بنقل الأفكار والمضمونات الأدبية من أمة إلى أمة أخرى، وكذلك النصوص والصور، والأعمال الكاملة أو الجزئية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الموضوعات نفسها التي تتبادلها الأمم فيما بينها، والتي قد تؤدي إلى إحداث تغيرات كبرى داخل الأدب المستقبِل.

هل هناك ضرورة للتذكير بالتغيرات التي حدثت داخل الأدب العربي بفعل الاتصال بالآداب العالمية المختلفة. وتكفي الإشارة إلى أن عدداً من الأجناس الأدبية التي لم تكن موجودة بصورتها الحالية في الموروث الأدبي العربي، قد احتلت مكانة مهمة داخل المنظومة الفكرية العربية، مثل القصة، والرواية، والمسرح، فضلاً عن التغيرات التي طرأت على الشعر العربي نفسه .الترجمة الأدبية والأدب المقارن إن متابعة الموجات الكبيرة للترجمة بين اللغات العالمية الحية تساعدنا على فهم المؤثرات الأجنبية، والتيارات الأدبية ولهذا تعد هذه العملية كتابة للتاريخ الأدبي أو إعادة كتابة له. هذا يؤكد أن الأمانة للنص الأصلي ليست هي المقياس الوحيد التي يجب التركيز عليها في دراسة الترجمة، بل يمكن القول إن هذا لا يمثّل إلاّ جزءاً يسيراً مما نطلق

عليه اسم الترجمة. وإذا أردنا التفصيل أكثر، نقول إن الأمانة ركن من أركان عملية تشمل دراسة الانزياح في النص المترجم، ودراسة الانزياح الحاصل في الثقافة المستقبِلة. إننا نعرف جميعاً تأثير الأدب الفرنسي في الآداب الأوربية، وكيف أسهم في خلخلة المنظومات

الثقافية الأوربية عبر غزو المذاهب الأدبية والنقدية المختلفة التي تأسس القسم الأكبر منها في فرنسا. وهنا نفهم لماذا نشأ الأدب المقارن في فرنسا، واشتغل جيل الرواد من المقارنين الفرنسيين على تأثير الأدب الفرنسي في الآداب الأوربية المختلفة. ولا ننسى كذلك ما سببته الروايات الروسية المترجمة إلى اللغات العالمية من تجديد في فهم الفن الروائي، وأسسه في القرن العشرين.

لهذا نقول من الصعب فصل الترجمة عن التلقي، وعن تاريخ التلقي، خاصة أن المترجم وسيط لغوي وثقافي لا يعمل في فراغ، ولكنه يعيش ضمن جماعة يعرف مسبقاً أن الجمهور الذي يترجم له سيحكم على الترجمة، وعلى الصورة الأدبية، والجمالية، وحتى الأخلاقية للثقافة التي جاء منها النص المترجم .ونظراً لأن الترجمة تمثّل الشكل الأهم من بين أشكال العلاقات الأدبية، فإن الدراسات الترجمية تدخل في صلب الدراسات الأدبية المقارنة، وتشكل القسم الأعظم من هذه الدراسات. وهي في هذا تختلف عن ميادين دراسة الترجمة الأخرى، مثل علم الترجمة، واللسانيات.

ذلك أن الأدب المقارن يدرس الترجمة الأدبية بوصفها علاقة تبادل مثمر تقوم بين أدبين قوميين أو أكثر. فهو يدرس المترجمين باعتبارهم وسطاء أدبيين يمدون الجسور بين الآداب القومية المختلفة. هذا يوضح أهمية المترجم الذي هو الركن الأساسي في العملية كلها. إن معرفة لغة أجنبية لا تصنع مترجماً ناجحاً، لابد من إتقان اللغة الأم وهذا ما يجعله أكثر إحساساً وخبرة بحدود وسائل التعبير الخاصة بكل لغة وإمكانياتها. ما الذي ينقص المترجم إذا جمع طرفي المعادلة: اللغة الأجنبية، واللغة الأم ؟ ينقصه الخبرة والدراية والتركيز والدقة وفهم الدلالات المختلفة للألفاظ عندما تتغي السياقات التي تستخدم فيها. وإذا كانت الخبرة تأتي بالممارسة ومع

الزمن فإن التركيز والدقة والأمانة العلمية من أهم الصفات التي يجب أن يتحلـى بها المبدع عادة، وهي أصيلة في الشخصية أكثر مما هي مكتسبة، ونعطي للمتـرجم صفة المبدع لأنه يعيد

إنتاج نص جديد. صحيح أنه ينقل من نص آخر، ولكنه يعطـي النص الجديد من روحه أشياء كثيرة، ولهذا فإن معرفة لغة أجنبية وحدها لا تكفـي لظهور مترجم ناجح.

ويجب ألاّ ننسى أن مهمة المترجم هي الوساطة الإيجابية بـين ثقافتين، وعليه فإن امتلاك عقل منفتح والرغبة في التسامح وقبول الآخر على ما هـو عليه هي سمات لا بد من وجودها عند المترجم. فقد رأينا في حالات عديـدة تـدخّل المترجم في حذف بعض المقاطع من النص الأصلي، أو إضافة مقاطع أخـرى إليـه وذلك لأسباب دينية وسياسية واجتماعية مما سبب خللاً في بنية الـنص، ويمكـن أن نشير في هذا المجال إلى ترجمة حسن عثمان للكوميديا الإلهيـة للشـاعر الإيطـالي دانتي، حيث أسقط نشيداً يتعلق بالرسول وعلي بن أبي طالب، لأسباب دينية، ففـوت بذلك الفرصة على القارىء العربي لكي يعرف الجو الفكري والثقافي الذي كان سائداً في أوربا في القرون الوسطى، والذي مهد للحروب الصليبية، بسبب الأفكار السـلبية التي انتشرت فيها عن الإسلام والمسلمين. إن الكاتب يعكس، بشكل أو بآخر، أفكـار عصره، ودانتي في عمله نطق بلسان عصره، وحين أسقط حسن عثمان هذا النشيد من ترجمته حرم القارىء العربي من الاطلاع على مادة فكرية غنية تساعده علـى فهم جذور هذه العلاقة المأزومة تاريخياً بين الشرق والغرب.

ويمكن أن نذكر مثالاً آخـر الترجمة الأدبية والأدب المقارن عن الحالة الثانية وهي ترجمة الفرنسي أنطوان غالان لألف ليلة وليلة إذ أضـاف إلـى ،النص المترجم مجموعة من الحكايات ليست موجودة في النص العربي "[1] " مما لاشك فيه أن المترجمين العرب يقومون بجهود كبيرة لتقريب المسافة بـين المتلقي العربي وبين روائع الآداب العالمية المختلفة، ويقيناً أن هذه العملية

[1] -شريفي عبد الواحد ألف ليلة و ليلة و أثرها في الرواية الفرنسية في القرن الثامن عشر و هران دار الغرب،2001 ص:43-50.

تخضع منذ بدايتها لذوق المترجم، وثقافته، وفهمه، وميوله. ومن المهم مثلاً معرفة أن أكثر الأعمال المترجمة عن الفلسفة الوجودية قام بها من يميل إلى هذه الفلسفة، أو يعتنقها، مثلما فعل سهيل إدريس عبر مجلته (الآداب) والترجمات التي نفذها مع زوجته لمعظم الأعمال الأدبية

الوجودية لجان بول سارتر، وآلبير كامو، وسيمون دو بوفوار، وغيرهم، والتي صدرت عن دار الآداب التي أسهمت مع المجلة في نشر الفكر الوجودي في سورية ولبنان ، وأقطار عربية أخرى، مما انعكس في النتاجات الأدبية والفلسفية في هذين البلدين. والدور نفسه قام به عبد الرحمن بدوي في مصر. معنى ذلك أن عملية الترجمة هنا تحمل أهدافاً أخرى غير هدف نقل العمل الأدبي من لغة إلى لغة أخرى. وهذا يرتبط بقناعات المترجم وخلفيته الفكرية والعقائدية . يقول الدكتور عبده عبود : (المترجم يؤدي في كثير من الحالات دوراً أساسياً في انتقاء العمل المترجم، وهو الذي يقوم بتنفيذ عملية الترجمة على طريقته الخاصة، ووفقاً لفهمه، أي تفسيره للنص. فالمرحلة الأولى من مراحل الترجمة الأدبية هي استيعاب النص الأدبي وتفسيره، وهي عملية لا يقوم بها المترجم من فراغ، بل انطلاقاً من أفقه الثقافي، والفكري، ومن الخطأ الاعتقاد أن المترجم يفسر المستند الأدبي بموضوعية تامة"[1] ،(وعندما يقوم الأدب المقارن بدراسة المترجم، وسيرته الثقافية، واختياراته، وعلاقته بما يترجمه، فإنه يستطيع تفسير خياراته الترجمية، سواء على صعيد اختيار النص، أم على صعيد تأويله، أم على صعيد تجسيده لغوياً وأسلوبياً في لغة الهدف .وفي هذا الإطار يمكن مقارنة مترجمين استخدموا لغات مختلفة لترجمة عمل أو أعمال واحدة.

مثلما يحصل مثلاً عندما نقارن من قام بترجمة غوته إلى اللغة الفرنسية، بمن قام بترجمته إلى اللغة العربية. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن بعض المترجمين قد يتفوقون على المؤلف الأصلي، يقول أحد الكتاب الأمريكيين: (هناك كاتبان باسم بو، أحدهما أمريكي وهو كاتب مستواه دون الوسط ، والآخر فرنسي عبقري هو إدغار آلان بو "[2]"،الذي ترجم وبعث من قبل بودلير

[1] -عبده عبودة الأدب المقارن ص:309-310.

[2] - بيشوا برونبل روسو ما الأدب ؟تر :غسان السيد ،دمشق دار ماجد علاء الدين 1996 ،ص:49.

ومالارميه (.تقاس جودة الترجمة إذن بقدرة المترجم، خاصة حين يكون المترجم كاتباً معروفاً في لغته الأصلية، مثل بودلير، ومالارميه. إن المبدع يسيطر على ما يترجمه ويعطيه من روحه وإبداعه كثيراً. ومهما يكن من أمر المترجم، يجب أن تستند دراسته إلى

الأسئلة الآتية: من هو؟ وماذا يترجم؟ وكيف يترجم؟ يجب أن تكون شخصية المترجم معروفة تماماً، فضلاً عن عناصر اجتماعية وتجارية (طلب الجمهور) وهي أحياناً تفسر اختيار النص، مثلما تشرح دوماً قيمة الترجمة واتجاهها . ومثلما يدرس الأدب المقارن المترجم بوصفه وسيطاً ثقافياً، يدرس كذلك تاريخ الترجمة الأدبية بوصفه تاريخ نشاطات تبادلية بين تلك الآداب. ويبدو أن هناك ثغرة كبيرة في تاريخ الأدب العربي، إذ ليس لدينا دراسة شاملة عن النصوص المترجمة إلى اللغة العربية. وعندما نتناول مثل هذا الموضوع بدراسة علمية شاملة، علينا أن نبدأ بطرح مجموعة من الأسئلة، ونحاول الإجابة عنها، مثل: ما هي النصوص المترجمة؟ وكيف قدمت إلى القراء؟ وما الانتشار الذي عرفته على المستوى الكمي، وكم عدد الطبعة الواحدة؟ وكم عدد الطبعات؟ وعلى المستوى النوعي: ما نوع الجمهور الذي تم التوجه إليه؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة خاصة في ضوء غياب المعطيات الإحصائية مستحيلة. فقد تغيرت المنظومة الأدبية العربية بعمق في القرن العشرين بتأثير النصوص المترجمة، وهي لا تختلف في ذلك عن باقي الآداب العالمية تطور دور الترجمات كثيراً في فرنسا في عصر النهضة، وعصور الأنوار، فقد أصبحت وسيلة لإغناء اللغة، وإغناء القارئ عبر اكتشاف الآخر ومعرفته"[1]" إن الدراسات المنهجية لتاريخ الترجمات ربما تسمح لنا بتجديد رؤيتنا للعديد من المسائل الأدبية في البلدان العربية، ويمكن بعد ذلك مقارنة هذه المعطيات بمعطيات أخرى في بلدان أخرى. وهنا يجب تمييز ظاهرة التقليد من ظاهرة التأثير. فالتأثير يستقبل بصورة واعية إلى حد ما، وقد كان شاسل محقاً عندما كتب: (إن الشعوب لا تغتني قط بالاستعارات الشكلية، ولكنها تغتني عبر الإدخال البطيء للمبادئ التي تجدد حياتها العقلية. عندما تلتقي حضارتان، وعندما تتمازج طاقة كل منهما مع

---

2 - الوجيز في الأدب ما الأدب المظقارن؟ ،ص:342.

الأخرى في نقطة التواصل، فإنه ينجم عن ذلك خليط هجين، متألق جداً، لا يمكن نكران قيمته، ولكن عندما نقلد من أجل التقليد، فإن هذا العمل لا ينتج في النهاية إلا زهوراً اصطناعية. ضمن جنس الزهور المرغوب في إنباتها، لا أعلم من هو عالم النبات الذي كان يضع تويجات نبتة ضمن كأس "كم" نبتة أخرى، وبذلك يخلق أمساحا

جميلة محرومة من الحياة، والنمو النباتي الطبيعي تستحق الترجمات دراسة تاريخية دقيقة لأنها توضح لنا مثلاً التغيرات الأساسية في المنظومة الأدبية العربية، فإذا أخذنا ترجمات غوته (1832 – 1749) الذي هو أحد أقطاب الأدب العالمي، وذروة من ذراه، فإننا سنجد أن الاهتمام بأعماله، في البلدان العربية والعالم، نابع من تحول في الفكر العالمي، أدى إلى إقبال منقطع النظير على أدب هذا الكاتب، الذي مارست مسرحياته ورواياته تأثيراً كبيراً في القراء، وفي الآداب العالمية المختلفة. وهناك دراسات أجريت في اليابان بينت أن عدد حالات الانتحار زادت في اليابان بعد قراءة جيل الشباب لرواية (آلام فيرتر). أما فيما يتعلق باستقبال أدب غوته في البلدان العربية فإن المسألة أكثر تعقيداً وذلك لسببين: السبب الأول هو التأثير العربي والإسلامي في أدب الكاتب الألماني ، بحيث كان قسم من القراء يبحث عن هذه المؤثرات في أدبه فقط .

أما السبب الثاني فهو كثرة الترجمات التي وصلت حتى الآن إلى نحو عشرين ترجمة لأعمال غوته. يقول الدكتور عبده عبود: (من الملاحظ أيضاً أن عدداً كبيراً من المترجمين العرب قد أسهموا في نقل ما نقل إلى العربية من أعمال غوته. فقد بلغ عددهم ما لا يقل عن ثمانية عشر مترجماً .وبطبيعة الحال فإن لكل منهم تكوينه الثقافي، ودوافعه، وطريقته في الترجمة، ولغته، وأسلوبه. ونتيجة لذلك، وصل إلينا ما لا يقل عن ثمانية عشر "غوته"، بدلاً من أن يكون لدينا غوته واحد، وأصبح المتلقي العربي في حيرة من أمره، يتساءل: أي من هؤلاء هو غوته الصحيح؟ (إننا نعرف أن الدراسة التاريخية والإحصائية للنصوص المترجمة عملية صعبة لا يمكن أن تعتمد على جهود الأفراد، ولهذا يتطلب هذا البحث أن نشارك في مجموعات عمل للترجمة، أو أن ننظمها مثل المجموعة التي أسسها إيتامبل في السوربون عام 1972 . ودراسة

تاريخ الترجمات لا تنفصل عن تاريخ دراسة التلقي، لأن حركة الترجمة تراعي أولاً وأخيراً المتلقي الذي تتوجه إليه. إن عملية التلقي في تصور غادامر ليست مجرد متعة جمالية خالصة تنصب على الشكل، ولكنها عملية مشاركة تفتح عالماً جديداً: (إننا نرى العالم في ضوء جديد، كما لو كنا نراه للمرة الأولى، ومعنى ذلك أن العمل الفني ليس عالماً

منفصلاً عن عالمنا الذاتي، إننا في تلقي العمل الفني لا نواجه عالماً جديداً غريباً، وإنما على العكس تماماً، نكون أكثر حضوراً، ونحقق فهماً أعمق لأنفسنا حتى " ندخل إلى وحدة الآخر وذاتيته باعتبارها عالمنا"[1] ،" إن مصطلح التلقي هو مصطلح حديث في الدراسات المقارنة ظهر في الستينيات من القرن الماضي في ألمانيا على يد هانس روبير ياوس في مدرسة كونستانس وقد حظيت بمكانة كبيرة في الدراسات المقارنة، وذلك لأنها تقدم إجابات عن أسئلة مهمة تتعلق بالعملية الإبداعية، والبعد التاريخي لهذه العملية. فقد انتبه ياوس على أن لكل قارئ حساسيته الخاصة التي لا تنفصل عن حساسية القارئ السابق، وفي هذا المجال قدم ياوس مفهوماً استعاره من الفلسفة لكي يحاول أن يفسر هذه العملية، وهو مفهوم أفق التوقع الذي حدده بوصفه: "منظومة من المرجعيات تصاغ موضوعياً، وتنتج عن ثلاثة عوامل رئيسية، بالنسبة إلى كل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها، وهذه العوامل هي: التجربة المسبقة التي يمتلكها الجمهور عن الجنس الذي ينتمي إليه العمل، وشكل الأعمال السابقة وموضوعاتها، والتي يفترض معرفتها، والتعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية ، وبين العالم الخيالي والواقع اليومي، إن هذا الأفق هو شبكة تفسيرية تسبق العمل في الوجود، وتتشكل من التجارب .وفي هذا المجال يمكن أن ندرس تلقي الجمالية السابقة لأولئك الذين يقرؤونه الأعمال المترجمة على مستويات عديدة:

المستوى الأول: هو دراسة كيف يتلقى فرد عملاً معيناً ، وهذا يعتمد على أفق توقع القارئ وأفق توقع العمل المترجم. إذ لا يمكن لعمل غريب في أفق توقعه أن يلقى التجاوب المطلوب من القارئ، لأن هناك اختلافاً بين الأفقين. وإذا أردنا أن للكاتب الصيني غاو نعطي مثلاً على ذلك،

[1] -عبد القادر الرباعي التأويل :دراسة في أفاق المصطلح عالم الفكر ،عدد2 ،2002 ص:166.

يمكن الحديث عن رواية جبل الروح كيسنغجيانغ الذي حصل على جائزة نوبل للآداب عام 2000 عن هذه الرواية بالمقام الأول، مع أنه لا يمكن تجاهل البعد السياسي لهذه الجائزة .

فقد تم الإطلاع على آراء بعض القراء العرب الذين قرؤوا الرواية، خاصة طلاب السنة الرابعة الذين درسوا الرواية في مقرر الأدب العالمي، وقد كان هناك شبه إجماع على عدم الإحساس بالمتعة عند قراءة هذه الرواية. ولو قارنا هذا الموقف بموقف القارئ الفرنسي الذي اطلع على هذه الرواية بنسختها الفرنسية، وهو موقف مختلف، لاتضح لنا الفارق في أفق توقع القراء في المنظومتين الأدبيتين.

إذا أضفنا إلى ذلك القارئ الصيني الذي توجهت إليه الرواية بنسختها الأولى، لأن الكاتب كتبها باللغة الصينية، فإننا سنحصل على دراسة غنية تبين لنا أفق توقع ثلاثة أنواع من القراء مع ما يترتب على ذلك من معرفة العوامل المختلفة التي تسهم في تشكيل هذه الآفاق. كتب الكاتب الأرجنتيني بورج" :(Borges) يختلف أدب عن أدب آخر بالطريقة التي يقرأ بها أكثر مما يختلف عنه من خلال النص ."إن الطريقة التي نقرأ بها تستند إلى أفق توقعنا، وحين يطرأ تبدل على أفق التوقع، في الزمان أو المكان، وتتغير راوية الرؤية، تتغير الأسئلة المطروحة على النص، وهذا سيؤدي إلى اختلاف الإجابات .

المستوى الثاني: دراسة تلقي مجال ثقافي لعمل معين: إن المنظومة الأدبية ليست باباً مفتوحاً على مصراعيه، يسمح بإدخال كل من يريد الدخول. إنها وسط مقاوم يغربل بطريقته الخاصة الأعمال التي يسمح بتمريرها. وهنا لا بد من التساؤل عن مكانة النص المترجم ضمن المنظومة الأدبية؟ ولماذا، وما وظائفه ضمنها؟ وما غاو كسينغجيانغ، جبل الروح التعديلات المتوقعة التي يحدثها فيها؟ عندما ترجم الفرنسي أنطوان غالان" ألف ليلة وليلة"، كان الأدب الفرنسي يبحث عما هو جديد خارج الحدود القومية، ولذلك استقبل .ومن المؤكد أن هذا الأدباء الفرنسيون

والجمهور الفرنسي هذا العمل بحفاوة بالغة "[1]" العمل جدد في رؤية الأدباء الفرنسيين للعالم، فضلاً عن تغيير صورة الشرق في ذهن الجمهور الفرنسي، هذه الصورة التي

بقيت راسخة منذ الحروب الصليبية، والتي تقوم على ثنائية ضدية لم يستطع الشرق والغرب تجاوزها إلى اليوم.

المستوى الثالث: مجالات ثقافية عديدة وعمل واحد. إن مهمة الدارس فـي هذا المجال هي أن يقارن موقف المنظومة الأدبية العربية من ترجمة عمـل معـين، وذلك في مختلف لحظات تاريخها، مع موقف المنظومات الأخرى. وهنا أيضـاً يعـد التزامن والتعاقب ضروريين جداً من أجل فهم عملية الاستقبال، كيف تم، مثلاً، تلقـي الروايات الروسية في مختلف منظومات العالم الأدبية، في نهاية القرن التاسع عشـر؟ وهل يمكن إعطاء نوع من التصور عن ردات فعل هذه المنظومات المختلفة في لحظة تاريخية معينة؟ وما درجة التأثير الذي تسبب في إحداث تعديلات مهمـة فـي هـذه المنظومات ؟ من المعروف أن الرواية الروسية في القرنين التاسع عشر والعشـرين انتشرت في مناطق مختلفة من العالم، ونشرت معها من خلال الترجمات المتعددة القيم الفنية والجمالية والفكرية التي كانت سائدة في المجتمع الروسي. لا أحد يسأل اليوم إذا كانت هذه الترجمات مطابقة للنص الأصلي أم لا، لأن الدراسات توجهت أولاً إلـى تأثير هذه الترجمات للأعمال الروسية في الآداب العالميـة. بمعنـى آخـر توجهت الدراسات إلى كيفية تلقي هذه الأعمال. ومن المؤكد أن ذلك يفيد في معرفـة القيمـة الفنية والجمالية للأدب الوطـني، ومكانته ضـمن الآداب العالميـة. يقـول بـاختين الاستيراد الخارجي، في المجال الثقافي، هو أهم عامل في الفهم. ولا تظهـر الثقافـة الأجنبية بصورة كاملة وعميقة، إلا عندما تنظر إليها ثقافة أخرى"[2] ".

[1]- شريفي عبدالواحد ،ألف ليلة و ليلة، ص:45.

[2] - جان فييريية تودوروف ص:126.

المستوى الرابع: مستقبل واحد وأعمال عديدة،وهنا يمكن أن ندرس استقبال مستقبل واحد ليس بالضرورة أن يكون فرداً، بل قد يكون منظومة أدبية كاملة لأعمال متعددة. إن هذه الدراسة توضح لنا الاتجاهات الفكرية والأدبية التي تسود فـي حقبـة تاريخية معينة، ولماذا تغيرت، أو

عدلت في مرحلة أخرى ؟ إن المتتبع لاهتمام الغرب بالأعمال الأدبية والفكرية العربية يلاحظ تغير اهتمام الغرب بالأعمال تبعاً للمرحلـة الزمنية.

فبعد اهتمامه بالفلسفة العربية التي حافظت على الفلسفة اليونانية وطورتهـا، جاء الاهتمام بأعمال خاصة مثل" ألف ليلة وليلة"، و" رسالة الغفران" للمعري، قبل أن تتوجه الأنظار إلى الأدب الصوفي. إننا نعتقد أن تغير مـزاج القـارىء الغربـي أو المنظومة الغربية بشكل عام جاء مرافقاً لتغير اجتمـاعي، وسياسـي، واقتصـادي، وفكري. بعبارة أخرى: الفن لا يفرض نفسه من فراغ، بل هو يعبر عن حاجة تتبـدل بتبدل الظروف، والشروط الاجتماعية.

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن هذه الدراسات المقارنية للتلقي، لا تتم بالاعتمـاد على القراءات الممكنة، وإنما تقوم على القراءات المحققة فعلياً. فأين نحن مـن هـذه الدراسات التي وصلت إلى مراحل مزدهرة في بعض المنظومات الأدبيـة العالميـة، خاصة أنه يمكن التحكم من خلالها بتوجهات الرأي العام؟ إن التطور الهائل في ثـورة الاتصالات والمعلومات العالمية، وظهور ثقافات جديدة، والإحساس بأهمية الثقافـات المختلفة، وفائدتها، هذا كله يشعرنا بأهمية أن نأخذ الترجمة على محمل الجد، لا أن نتركها تسير وفقاً للأهواء الشخصية، والجهود الفردية التي لا يمكنها أن تسـد هـذه الثغرة.

فهل المنظومة الأدبية العربية في طريقها لأن تغير من طريقة تعاملها مع الترجمة الأدبية والأدب المقارن الترجمات العربية "[1]"، وربما بفضلها؟ تشعر المنظومة الأدبية العربية اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، بحاجتها لأن تنفتح على الآداب العالمية، وأن تطعم بأعمال أنتجت خارجها . ولكن ما يعيق هذه العملية هي الفوضى التي نراها على امتداد البلدان العربية، والتي من أهم مظاهرها اضطراب المصطلحات، وترجمة النص الواحد مرات عديدة، وغياب التنسيق .ولا يمكن الحديث عن الترجمة دون الحديث عن أزمة المصطلح في الترجمات .إن المصطلح هو الأساس الذي يبنى عليه أي علم، معنى ذلك أن اختيار العربية المصطلحات في

العلوم المختلفة، ومنها النقد الأدبي، والأدب المقارن، يتم بدقة كبيرة لكي يعبر تماماً عن الفكرة المقصودة. ولهذا فإن أي اضطراب في نقل المصطلح أو في ترجمته يؤدي إلى خلل في فهم معناه وتلقيه. ولا يمكن أن نستوعب علماً من العلوم دون أن نفهم الجهاز المصطلحي الذي يصنع خصيصا لهذا.

وإذا سمحنا لأنفسنا باستخدام مثال من قطع السيارات التي يشير كل اسم فيها إلى قطعة محددة، فماذا سيحصل لو أننا ذهبنا إلى مخزن بيع قطع السيارات وخلطنا بين الأسماء؟ من المؤكد أن صاحب المخزن لن يفهم علينا، ولن نحصل على القطعة المطلوبة. إننا نعيش في عالم يطور في كل يوم علوماً مختلفة في شتى الميادين المعرفية، ويطور معها منظومته المصطلحية التي تتوسع باستمرار: يدخل ساحة المعرفة في العالم ما يربو على سبعة آلاف وثلاثمائة مصطلح جديد سنوياً، أي بمعدل عشرين مصطلحاً كل يوم. في حين بقيت المنظومة المصطلحية العربية في العالم العربي في شتى مجالات المعرفة، تعتمد أساساً على الترجمة من المنظومة المصطلحية في العالم المتقدم، دون استراتيجية محكمة، للحاق به أو على الأقل تقليص الفارق الكبير الذي يزداد يوماً بعد (يوم، الأمر الذي جعلنا نلهث دائماً وراء المصطلحات الجديدة"[2]" وتأسيساً على ما تقدم نستنتج

[1] - عبد النبي اصطيف ، المصطلح الأدبي في الثقافة لالعربية الحديثة : مشكلات الدلالة و مواجهتها ، مجلة اللغة العربية بدمشق ،ج 1 مجلد 75 ،ص:111-152.

[2] - يحي يعطيش، نحو استراجية لحل اشكالية المصطلح مجلة المترجم الجزائر- و هران عدد/2001/3 ص:42.

أن ترجمة المصطلح من أكبر العقبات التي تعترض سبيل المترجمين، خاصة فيما يتعلق بالدراسات الأدبية والنقدية التي شهدت ثورة حقيقة في النصف الثاني من القرن العشرين، في حين بقيت الدراسات العربية تدور في فلك الدراسات القديمة، أو الحديثة الوافدة إلينا من الغرب مع مصطلحاتها، فنعود مرة أخرى إلى المربع الأول من حيث القدرة على ترجمة المصطلح وضبط معناه. وذلك أن نصوص النقد الأدبي مبنية على شبكة من المصطلحات المرتبطة أصلاً بثقافة مغايرة لها جذورها، فضلاً عن ارتباط المصطلح نفسه بفلسفة معينة، أو انتمائه داخل تخصص من الدقة بمكان لدرجة يصعب معها إيجاد مقابل له داخل اللغات الأخرى .

وبناء على ذلك يحق لنا أن نتساءل عما سيصبح عليه الوضع مع هذا الاختلاف الكبير في ترجمة المصطلحات بين المشرق والمغرب، وحتى داخل البلد الواحد ، أو داخل العمل الواحد . ويمكننا في هذا المجال أن نذكر مئات الأمثلة. من الأمثلة المهمة، في هذا المجال، مصطلحdifférance الذي غير فيه جاك دريدا، فوضع حرف "a"بدلاً من حرف"e" ، فأثار مشكلة أمام القارئ الفرنسي، ومن الطبيعي أن تكون المشكلة أكبر أمام القارئ العربي الذي جاء إليه المصطلح من لغة غريبة عنه، مما المصطلح زاد النفور من الاتجاه ألتفكيكي في الوطن بكلمة اختلاف مع وضع قوسين حول التاء لكي يلفت نظر القارئ إلى خصوصية المفردة، ولكن المعنى الحقيقي لمصطلح دريدا لا يمكن أن يفهم بصورة منعزلة عن فكره مثلما أشار المترجم كاظم جهاد. فهو كان يقصد معنى الإخلاف أو الإرجاء، أي إن المعنى في أي خطاب هو معنى مؤجل باستمرار ولا يمكن أن يكتمل في نفس قارئ من القراء في أي عصر من العصور. مقابل كلمة الاختلاف، مع وضع قوسين حول التاء، هناك من استخدم كلمة الاختلاف دون إشارة خاصة، فضلاً عن استخدام المقابل" الإرجاء أو التأجيل أو الإخلاف"، فيصبح عندنا مجموعة من الكلمات المقابلة لمصطلح فرنسي واحد. ومن هنا تأتي كثرة المترادفات للتعبير عن مصطلح واحد .فمصطلح Structuralismeتضاربت مقابلاته بين المشرق والمغرب من: هيكلية، إلى بنوية وبنيوية، وبنائية، وبنيانية، وتركيبية. ومصطلح الشعرية Poetique ترجم إلى :إنشائية، وفن الشعر،

والأدبية ، وقضايا الفن الإبداعي، وعلم الأدب، وصناعية الأدب، والإبداع، وفن النظم، ونظرية الشعر، وبويطيقيا، وبويتيك ومن مظاهر هذه الفوضى ترجمة مقال رولان بارت) (Introduction Analyse structurale du recit، والتي كتبها في الستينيات، واستقرت مصطلحاها النقدية، ومع ذلك لم يتفق المترجمون الذين ترجموها على ترجمة واحدة للعنوان: فهناك التحليل البنيوي للقصة القصيرة، ، ومدخل إلى تحليل السرد بنيوياً، ومدخل إلى التحليل البنيوي للسرد، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ، ومدخل إلى التحليل البنيوي للمحكيات، .. الخ .لا نريد أن ندافع عن أي ترجمة من هذه الترجمات، ولكن يحق لنا أن نتساءل عن وضع القارئ الذي يريد أن يقرأ مقالة بارت، وكيف سيستطيع فهم أساس البحث إذا كان

المترجمون قد اختلفوا في ترجمة العنوان. ولو أننا جئنا بأمثلة من داخل البحث لازدادت الصورة قتامة .ومما يزيد الأمر سوءاً أن بعض الترجمات جاءت عن لغة وسيطة، مثلما حصل بشأن نظرية التلقي التي كتبت أهم الأعمال فيها باللغة الألمانية. أما أكثر ما ترجم عنها فقد ترجم عن اللغتين الفرنسية والإنكليزية. قام غسان السيد بترجمة مجموعة من المقالات المتعلقة بنظرية التلقي عن اللغة الفرنسية، ونشرها في كتاب يحمل عنوان)في نظرية التلقي). من المعروف أن مفهوم (أفق التوقع) من أهم مفهومات نظرية التلقي، وقد ترجمه المترجم الفرنسي ,Horizon d) (attente، ونقل المصطلح إلى اللغة العربية مثلما ورد باللغة الفرنسية (أفق الانتظار) وهذه هي الترجمة الحرفية للمصطلح الفرنسي، ولكنه في ترجمات لاحقة عن اللغة الفرنسية استخدم مصطلح أفق التوقع .نستخلص من ذلك أن دراسة دقيقة لاتجاهات تلقي النصوص المترجمة مستحيلة، كما أن الفائدة المرجوة من هذه الترجمات تكون قليلة. ولهذا نرى أن تضافر الجهود للنهوض بالترجمة أمر لابد منه. إن إمكانيات الأفراد تبقى ضعيفة أمام جسامة المسؤولية. ومما يؤسف له أن الدول العربية لم تعتمد حتى الآن استراتيجية واضحة ومحددة للنهوض بهذا الجانب الذي لا يمكن الاستغناء عنه لمن يعيش في عالم اليوم .وما يثير الدهشة هو أن أكثر الدول العربية لا تكتفي بموقف المتفرج فقط بل تتدخل أحياناً لتعرقل جهود الأفراد عن طريق الرقابة الشديدة التي تفرضها على الترجمات، فضلاً عن أن أكثر الدول العربية قد وقعت على الاتفاقية الدولية

لحمايـة الملكيـة الفكرية. ولهذا آثار سيئة في حركة الترجمة بسبب المبالغ الضخمة التي تطلبهـا دور النشر الغربية لقاء السماح بترجمة كتبها. ونحن نعرف جميعاً أن الأفراد لا يستطيعون تحمل هذا العبئ، ويبدو أن المؤسسات الرسمية غير مستعدة للقيام بمسـؤولياتها فـي الترجمة الأدبية والأدب المقارن هذا الجانب، على الرغم من الجهود التي تقوم بها المنظمة العربية للثقافـة والتربيـة والعلوم، التي نشرت عدداً من الدراسات عن واقع الترجمة في الوطن العربي عـامي 1985 و1987. ولكن هذه الدراسات غير متوافرة للباحثين، كما أن نشـاطات هـذه المؤسسة غير معروفة كثيراً على مستوى الوطن العربي .ولهذا

نرى من الضروري أن يتأسس مجلس أعلى للترجمة والنشـر والتوزيـع على مستوى الوطن العربي، يكون له مكاتب في جميع الدول العربية، ويقوم بالمهمات الآتية :

-1-اختيار الكتب الحديثة والمهمة التي تصدر في لغات عالمية مختلفة، وترجمتهـا إلى اللغة العربية ضمن خطة تراعي أهمية الكتاب، والحاجة إليه. ولا بـد مـن الإشارة هنا إلى أن فرنسا تترجم أي كتاب يصدر باللغة الإنكليزية خلال سنة من صدوره، أو خلال خمس سنوات، تبعاً لأهميته. وفي كثير من الحالات تصـدر النسختان الإنكليزية والفرنسية في وقت واحد.

-2- التنسيق مع دور النشر العالمية، والتعاون معها للسماح بنقل الكتب المهمة التـي تصدرها إلى اللغة العربية .

-3- تنظيم عملية الترجمة من خلال الإشراف على أعمال المترجمين الفردية، لكي لا تتكرر الترجمات، وتهدر جهود كبيرة يمكن أن توظف في مكان آخر.

-4- الدعم المادي للمترجمين، ومساعدتهم على نشر ما يترجمونـه إذا كانـت هـذه الترجمات تقع ضمن إطار نقل الخبرة والمعرفة، حيث يقـل المهتمـون، ويقـل الإقبال على الكتاب المترجم.

-5- التعاون مع المؤسسات الحكومية الأخرى مثل الجامعات وغيرها، وتقاسم المهمات حتى لا يحدث تضارب بين عمل هذه المؤسسات.

-6- تأسيس بنك معلومات عربي للأعمال المترجمة. وهنا نشير إلى أن هذه الدراسات عن الترجمة غائبة، ولا نعرف بدقة عدد الكتب المترجمة، واتجاهات الترجمة، وأسبابها، لأن هذه الدراسات يمكن أن تبين لنا اتجاهات الرأي العام، والذوق، والمستوى المعرفي الذي وصل إليه المجتمع.

-7- تثبيت المصطلحات ضمن العلوم المختلفة، خاصة في محال الأدب والنقد الأدبي، ومحاولة تعريبها وتوزيعها، وإصدارها ضمن قواميس عامة أو خاصة.

-8- التخفيف من الرقابة على الترجمات، خاصة في ضوء الانتقال السريع للمعلومات عبر وسائل الاتصال المختلفة .إن المتابعة العلمية والدقيقة للترجمات في البلدان العربية تسمح للدارسين والباحثين بوضع النشاط الترجمي في إطاره العالمي،وهذه خطوة لا بد منها إذا أردنا أن نسهم في تشكيل الرأي العام، على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي. إن الصراع الدولي الحديث يتمحور، بصورة أساسية، حول الثقافة. والذي يستطيع أن ينشر ثقافته وقيمه يمكنه أن يسيطر على مساحة واسعة من الرأي العام، ويكسب تأييد الجمهور له. ويعد النص الأدبي من أهم الوسائل لنشر الفكر والثقافة، لأنه يكتسب مصداقية خاصة وخطيرة في الوقت نفسه بسبب ابتعاده عن المباشرة في طرح موضوعاته. وعلى المؤسسات الرسمية العربية أن تنتبه إلى خطورة إهمال هذا الجانب المهم من حياة أي أمة تريد أن تعيش في عالم اليوم الذي أصبح، بفضل التطور الهائل في عالم الاتصالات، قرية صغيرة.

الفصل الثالث

حيـــاتـه:

ولد طه حسين علي سلامة في 14 نوفمبر1889[1] في عزبة " الكيلو " التي تقع على بعد كيلو متر واحد من مركز "مغاغة " التابع لمحافظة المينا.و تنتمي أسرته المتدينة إلى المجتمع الرّيفي البسيط بصعيد مصر و كان والده "الشيخ حسين علي"م وظفا بشركة السكر و كان الفتى "سابع الثلاثة عشر [2] من أبناء أبيه، و خامس إحدى عشر من أشقائه ، وكان يشعر بأن له بين هذا العدد الضّخم من الشباب و الأطفال مكانا خاصا يمتاز من مكان إخوته و أخواته [3] نشأ الفتى فقيرا يغلب على بيئته و مجتمعه الجهل و السذاجة و يطبعها طابع الإعتقاد بالشعوذة و الخرافات مما جعل والديه يهملان علاجه من مرض الرّمد الذي أصابه حيث إكتفيا بعلاج الحلاق اللذي أودى به إلى العمى[4] و هو لم يتجاوز السادس من عمره (سنة 1895 م) " إذ لم يجد الرّعاية و العلاج الصحيح من الأسرة في بادئ الأمر "[5] و أما طه حسين فيقول عن علته –في معرض حديثه عن أصغر أخواته و موتها بسبب الإهمال- يقول "... فقد صبينا عينيه ،أصابه الرّمد فأهمل أيامه ، ثم دُعي الحلاق فعالجه علاجا ذهب بعينيه "[6] .

و حمل طه حسين عاهته هذه إلى الأبد،هذه العلّة التي حرمته من رؤية الحياة على حقيقتها و حرمته من التمتع بجمال الطبية و مناظر الكون هذه العلّة التي أخذت منه الكثير و لكنها كانت عاملا من العوامل الأساسية التي شكلت شخصيته فيما بعد و حافزا لبذل جهد أكبر لتدارك ما أنقصته هذه العلّة التي كان لها الوقع الأكبر في نفسيته منذ الصبا و أعطته دفعا قويا للمضي إلى الأمام في درب التعلم و إكتساب مختلف العلوم و اللغات ثم التفوق المستمر في مجال العلم و المعرفة و الثقافة مهما تشبعت مشاربها .

---

[1] حمدي السكوت و ماردس جونز ،طه حسين ، سلسلة أعلام الأدب، منشورات الجامعة الأمريكية 1975 .

[2] طه حسين ،الأيام، دار المعارف القاهرة ،سنة 1991، ط64،ج 1 ص:3 و عبد الرحمن بدوي ، إلى طه حسين في عيد ميلاده 70 ،ص:09 .

[3] طه حسين ،الأيام ،ج1، ص:03 .

[4] عبد الرحمن بدوي ، إلى طه حسين في عيد ميلاده 70 ص: 09 و أنظر ،طه حسين الأيام ج 1 ص:120 .

[5] المرجع السابق ، ص:09.

[6] طه حسين ،الأيام ،ج 1 ص:120.

إن هناكا أمورا في الحياة مهما تبدو صغيرة إلا أنها تأثيرها في النفوس الحساسة يكون أكر و أحدْ ، و يكون حاضرا و متواصلا من ذلك ما ذكر الشيخ طه في كتابه " الأيام " حيث وقعت له حادثة مع إخوته و هم على مائدة العشاء في البيت ،يقول :" كان جالسا إلى العشاء بين إخوته و أبيه و كانت أمه كعادتها تشرف على حفلة الطعام ، ترشد الخادم في القيام بما يحتاج إليه الطاعمون و كان يأكل كما يؤكل الناس .

ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب!ما الذي يقع لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه بدل أن يأخذها كعادته بيد واحدة ؟ وما الذي يمنعه من هذه التجربة ؟ لاشيء. و إذن أخذ اللقمة بكلتا يديه و غمسها في الطبق المشترك ثم رفعها إلى فمه ،فأما إخوته فأغرقوا في الضحك ، و أما أمه فأجهشت بالبكاء.

و أما أبوه فقال في صوتٍ هادئ حزين : "ما هكذا تؤخذ اللقمة يا بني... و أما هو فلم يعف كيف يقضي ليلته "[1].

و تمر عليه هذه التجربة هذه المرة كالصاعقة فتغير مجرى حياته و تعلمه التأني و الصبر و تلجمه عن المغامرات و تكسبه حياءاً ووقارا .يقول :" من ذلك الوقت عرف لنفسه إرادة قوية ومن ذلك الوقت حرم على على نفسه ألوانا من الحساء و الأرز و كل الألوان التي تؤكل بالملاعق ،لإنه يعرف كان يعرف أنه لا يحسن إصطناع الملعقة وكان يكره أن يضحك إخوته ،أو تبكي أمه أو يعلمه أبوه في هدوء حزين[2] .

وقد علمته هذه المحادثة كثيرا من الشّدة في حياته و القسوة على نفسه فقل أكله و كثر إمتناعه عن طعام الموائد العامة بل حرم على نفسه الأكل مع الناس و الشرب و لا يأكل إلا في غرفته منفردا حتى تزوج فأقلعت عنه زوجته هذه العادة و عادات أخرى كان قد ألفها..."[3].

[1] طه حسين الأيام ج 1 ص:19-20.
[2] المصدر السابق ،ج1 ص:20.
[3] المصدر السابق ، ج1 ص:23.

- ولم يحرم طه على نفسه أنواعا من الأكل و الشرب فحسب بل حرم أنواعا من اللعب حتى لا يضحك منه الأخرين أو يشفقوا عليه ...و كان من أثار هذه الحوادث ووقعها في نفسيته أن يقلل من كل شيء من الطعام و الشراب و اللعب في التقليل ليصاب بالنهايه بداء في معدته كما جعلته هذه الحادثة يأخذ نفسه مأخذ الجدّ و العنف دائما لترتيبها و ترويضها ، ولايطلق العنان لها في اللهو و اللعب و هو صبيّ بل غالبا ما يحتفظ باللعب مع أبناء قريته من أقرانه و إخوته دراء للسخرية و الضحك و الشفقة ، و كان يمتنع عن اللعب .

و مشاركة الفعالية فيه و لكنه يشاركهم بذهنه و عقله و وجدانه فحسب ، لا يجاوز ذلك إلا نادرا جدا و كان لإعراضه عنه عن لهو و اللعب فائدة أخرى و جهته إلى الإستماع إلى القصص و الأحاديث فمنها حاسة السمع و الإنصات في نفسه .

و إنصرافه هذا عن العبث فحبب إليه لونا من ألوان اللهو ، و هو الإستماع إلى القصص و الأحاديث ، فكان أحب شيء إليه أن يستمع إلى إنشاد الشاعر أو حديث الرجال إلى أبيه و النساء إلى أمه ومن هنا تعلم حسن الإستماع "[1].

إنصرف غلى تنمية الإستماع إلى القصص و الحكايات و تنمية الخيال عنده و توسيع ملكة الإدراك لديه مما جعله يولي جلّ إهتمامه لحفظ القرآن الكريم و هو في التاسعة بعد أن ألحقه والده بكتاب القرية .

دخل طه حسين الكتاب ليحفظ القرآن الكرم وكانت تلك عادات العرب في تثقيف أبناءهم و بناتهم

ولم يبلغ التاسعة من عمره كان قد أتم حفظ القرآن الكريم كله ولم يكن إختلاف الكتاب للكتاب منقطعا عن العالم الخارجي و البيئة الإجتماعية و الثقافية داخل الكتاب و خارجه يقول في

[1] المصدر السابق ،ج1 ص:24.

ذلك :"هناك حسين كان يعود من الكتاب وقد أرضى حاجته من اللعب فيتبلغ بكسرة من الخبز المجفف مازحا مع إخوته قاصا على أمه ما أحب أن يقص عليها من أنباء يومه في الكتاب "[1].

ختم طه حسين القرآن و كله فرح تغمره أنواع البهجة و السرو ولما ينتظره في القاهرة التي لا تمثل لديه أكثر من الأزهر الشريف و السيدة زينب و أضرحة بعض الأولياء الصالحين فلقد وجد في الأزهر السكينة و الراحة .

تردّد على شيوخ الأزهر يأخذ العلم منهم ووسيلته السمع و كان نمى هده الحاسة في القرية فلقد إستمع كثيرا إلى قصص الوعظ و المغازي و السير كسيرة سيف بن ذي يزن ، و أبي زيد الهلالي وسيرة عنترة بن شداد وكان يرى في الأزهر الأمل بل الغاية في إباع هذه الرغبة المكبوتة ووسيلة لتعلم و التألق و بداية مشواره .

ثقافته:

طه حسين المفكر الحرّ الدي تناول بجرأة كبيرة قضايا المسكوت عنه التي ما زلنا نخوض غمارها حتى أيامنا هذه من قضايا الأصالة و المعاصرة ، و كذا الموروث و المستحدث ، ثم قضايا التنازع حول ثقافة النقل و حرية العقل إلى العلاقة بين الشرق و الغرب و قضايا التجديد في الأدب و الفكر.

إنه أعمى البصير الذي يرغم عاهته و التي هي العمى الذي قدر له أن يصاب به طفلا استطاع منذ نعومة أظافره أن يرسم صورة لمن حوله دون أن يراهم ، معتمدا على حواسه الأخرى لا شك

[1] المصدر السابق ج1 ص:24.

أن السماع و الحفظ من أدق الملكات في طه حسين و أرهفها بالقياس إلى غيره ،لما نعلمه من فلقد كانت أذنه هي النافذة الكبرى التي يطل منها على العالم و يستقبل بها أسراره و خباياه [1].

و مطلقا العنان لعقله الصغير و مخيلته للذهاب بعيدا حيث يريد و بذاكرته القوية فتكونت أصول حاسته الأدبية و شحذت في بيصته . إكتملت عنده أداة الأديب و تلك هي أولى درجات الأدب .

إنخرط في سلك الثائرين على دراسات الأزهر حيث كان على رأسهم الشيخ بن علي المصرفي الذي أكبر فيه نزعة التمرد و أعزاه بالثورة و النيل من حدواه.

ولما كان تأثير كبير بالضيخ المرصفي و صّلته به محكمة أصبح يسير على مذاهبه فصاغ أفكاره على منواله و أعطى نقده ذوقه يقول في هذا الصدد:"أستاذنا الجليل سيد بن علي المرصفي أصح من عرفت بمصر فقها في اللغة و أسلمهم ذوقا في النقد و أصدقهم رأيا في الأدب و أكثرهم رواية للشعر ولا سيما شعر الجاهلية و صدر الإسلام".[2]

و كذلك رزق الصبيُّ " طه " بذاكرة قوية عوضته عن فقدان البصر حيث حفظ كل ما سمعه من لغة و أدب ز كان السّمع و سيلته الوحيدة للإستعاب و التعلم لذا كان يميل إلى مجالس العلمية و الأدبية و الثقافية ،وكان متعطشا إلى المزيد من المعرفة حي كان يعد نفسه ليصبح واحداً من الشيوخ المهمين فحفظ كثيرا من أخبار الكرامات و المعجزات و أسرار الصوفية .

شـيــــوخـــــه:

تتلمذ طه حسين على عدد كبير من الشيوخ و الأساتذة فمن شيوخه الأزهرين:

- الشيخ سيد المرصفي في علوم اللغة و الأدب و النقد .
- الشيخ الرفاعي .
- الشيخ الإمام محمد عبده .

---

[1] المصدر السابق ، ج1 ص:25.

[2] المصدر السابق،ج1 ص :24-25.

ـ الشيخ عبد الحكم عطا في البلاغة .

ـ الشيخ راضي في التوحيد .

ـ الشيخ بخيت في اللغة .

بعثته إلى فرنسا :

نظرا لتفوقه في الدراسة حيث ناقش أول أطروحة دكتورا تمنحها له الجامعة المصرية الأهلية المصرية بالقاهرة كانت من نصيب الطالب "طه حسين " حول موضوع: " أبي العلاء " و نظرا لعاهته التي لا تستقيم معه – الدراسة إلى هذا المستوى وما جلبته له من عطف شفقة الشخصيات السياسية لاتجاهه و جرأته في النقد الاجتماعي و السياسي ونظرا لإعجاب المستشرقين بشخصية العنيدة التي لا تضعف ونظرا لجرأتها الزائدة منحته الجامعة المصرية منحة دراسية إلى فرنسا لتحضير شهادة دكتوراه في "التاريخ القديم و الأدب ".

وبعد ذلك التحق بجامعة مونيلي بفرنسا ،فدرس اللغة الفرنسية و اللغة اللاتينية و اللغة اليونانية ثم أوقفت الحرب العالمية الأولى مساره الدراسي فعاد إلى القاهرة و بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، سافر ثانية إلى باريس و التحق بجامعة السريون و بعد جهد حصل على شهادة الثانوية العامة التي هي بكالوريا فرنسية بعد تحضير شّاق للغة الفرنسية و اللاتينية ثم تحصل على شهادة الليسانس في التاريخ (سنة 1916) بعد إلمامه بالتاريخ اليوناني و التاريخ الفرنسي الحديث و ترجمة نصوص ووثائق باللغة اليونانية و الرومانية و إلى اللغة الفرنسية و العكس.

و حصل على شهادة دكتوراه في التاريخ (سنة 1917) حول موضوع : "تاريخ ابن العلاء المعري" و حصل على شهادة دكتورا في التاريخ سنة 1917 حول موضوع "تاريخ ابن خلدون الاجتماعي".و كان قد تعرف على زميلة له في الدراسة بالجامعة الفرنسية وكان قد أحبها لما أسدته له من مساعدة في الدرس و القراءة و التحصيل ،ولكن قلبه خفق لها فطلب الزواج

منها،وقبلت أسرتها بعض الرفض،فكانت له العين التي يرى بها العالم-كما يقول-قال له أحد الممتحنين عند ما تقوم لأداء الامتحان في حفظ القرآن:" اقرأ يا أعمى سورة الكهف".

أعماله :

- **رواية " أديب "[1]:**

و يطرح طه حسين في روايته هذه قضية الصراع الحضاري بين الشرق و الغرب بين العرب و أوربا .

- **كتاب "الأيام "لطه حسين [2] :**

يبدأ طه حسين الجزء الأول من "الأيام " :بهاته السطور التي يستعمل فيها ضمير الغائب للحديث عن نفسه.

أما الجزء الثاني من" الأيام ": فيتحدث عن نفسه من القاهر مستعملا فيه ضمير الغائب.

أما الجزء الثالث من "الأيام ":يروي حياة طه حسين في الجامعة المصرية الأهلية و جامعة باريس و عودته إلى مصر.

كتاب "أحاديث"[3]:تحدث في بعض مقالاته عن الحب و البغض و الثقافة فتطرق إلى الحديث عن الكاتبة مي زيادة و غيرها .

كتاب " من أدب التمثيل الغربي"[4]:

و الكتاب عبارة عن مسرحيات فرنسية و أوربية لم يترجمها العميد و إنما عربها أو نقلها إلى العربية

---

[1] صدرت الرواية سنة 1935.

[2]. طه حسين :الأيام ، دار المعارف بالقاهرة ،ط 64،ج 1 ص: 03

[3] طه حسين ،أحاديث ، دار العلم للملايين ، بيروت ط9/.

[4] طه حسين ، من أدب التمثيل الغربي ، دار العلم للملايين ،بيروت، ط 1985/8.

كتاب في "الأدب الجاهلي "[1]: قسمه إلى خمسة أقسام و تحدث فيه عن الجاهليين و لغتهم و أدبهم .

كتاب "ألوان" [2]:

ألفه طه حسين و نشره فصولا متتابعة في مجلة " الكاتب المصري " من أكتوبر 1945 إلى ماي 1948في أعداد متتالية .

كتاب "جنة الحيوان ":

يتحدث فيه عن القسوة و علاقتها بالتخلف و الجهل في مصر.

كتاب " جنة الشوك" :

عبارة عن قصص و أمثال بأسلوب موجز تليغرافي مكثف .

كتاب " حافظ شوقي ":

يتحدث فيه عن الأدب عامة و الذوق الأدبي .

كتاب "حديث الأربعاء":

عبارة عن مقالات نقدية نشرت في مظان الجرائد و المجلات العربية و المصرية.

كتاب "خصام و نقد"":

طبع بدار الملايين البيروتية نجد فيه حديثا عن الأدب الواقعي و الإلتزام .

كتاب " الخواطر ":

تحدث فيه عن بعض الكتاب و عن أبي العلاء المعري و أبي نواس .

---

[1] طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة عشر سنة 1981، و كانت الطبعة الأولى سنة 1926 و الطبعة 1980الثانية في 11 ماي 1927

[2] مجلة الحياة الثقافية ، عدد 56،سنة 1990،ص ص 34-33

كتاب "رحلة الربيع و الصيف"[1]

كتاب "زاديج أو القدر "[2]

قام بترجمة هذه الرواية إلى العربية لأهميتها كما يقول و ذلك لإعجابه بالفيلسوف الفرنسي فولتار.

كتاب "من لغو الصيف إلى جد الشتاء":

وهو عبارة عن مقلات نشرها بالصحافة

كتاب "ما وراء النهر":هي قصة وإن كانت طويلة كما يقول محمد حسن الزيات في المقدمة

كتاب "مرآة الضمير الحي":

يعترض فيه للأدب الدي يصور واقع الفرد و سلوكاته و المجتمع و ظواهره و مواقف الملوك.

كتاب " المعذبون في الأرض":

هي مجموعة من القصص أو مجموعة من المقلات ذات طابع تشاؤمي كتبها قبيل ثورة 1952.

كتاب "مستقبل الثقافة المصرية ":

يتحدث عن مستقبل مصر عندما تحررت.

كتاب "نقد و إصلاح":

يتحدث فيه عن "الربوة المنسية" لمولود فرعون و كتاب "فلسفة و أدب".

مبادئ الثورة الفرنسية :

ان الإعلان عن الحقوق المنبثق عن وثيقة الثورة الفرنسية هو نتاج فلسفة الأنوار و بعض مرجعية هذا الإعلان نادى بها مونتسكيو(مثل فصل السلطات.المادة 16).و بعضها نادى بها

---

[1] طه حسين ،رحلة الربيع و الصيف : دار العلم للملاين ، بيروت،ط1979/8.

[2] فولتار ،زاديج ، ترجمة طه حسين ، دار العلم للملايين ،بروت ،ط1980/5.

جان جاك روسو مثل الإستناد إلى الإدارة العامة في المادة 6) " و القانون هو التعبير عن الإرادة العامة ".

جان توشار[1]

مبادئ الثورة الفرنسية :

عندما نتحدث عن الثورة الفرنسية لا بد أن ننظر إلى الآثار التى أحدثتها في العالم في ظّل القرون الوسطى و لابد من الرجوع إلى القرون الوسطى في أوربا حيث كان الإقطاع سيد

العصر ،و كانت العبودية و كان الرق و لم يكن الصراع بين الغني و الفقير و إنما كان الصراع بين الوجود و العدم بين الحياة و الموت .

كان الإقطاع يحي و يميت و يضر و ينفع و يكفي الرجوع إلى رواية البؤساء لفكتور هيجو لمعرفة أحوال المجتمع الفرنسي في ذلك العصر ، أو الرجوع إلى جارمينال لإيميل زولا[2]

لترى صورة هذا المجتمع في ظل البؤس و العبودية و يقول خير الدين التونسي في كتابه "أقوم المسالك "عن روسو و فولتيار :" و هذان الكتبان المجيدان هما اللذان أنشآ ثورة أهل فرنسا سنة 1789 و هيآ أسبابها و استعجلا و قوعها "[3].

و جاءت الثورة الفرنسية كنتيجة لإنهاء ويلات الظلم و البؤس و العذاب الذي كان سائدا في المجتمع الفرنسي .و ثار الشعب ضد الإقطاع و العبودية و تخلص من الظلم و استولى على مقاليد الأمور . ولم تكن الثورة الفرنسية مخرجا للشعب و حده و إنما حررت كثيرا من الشعوب و إن ظلت الشعوب العربية راضخة تحت نيران الاستعمار تتخبط في الظلام و الشّقاء و الفقر

[1] - جان توشار ،تاريخ الفكر السياسي ،ترجمة :الدكتور علي مقلد،الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع بيروت ، الطبعة الثانية ،سنة 1983، ص:359.
[2] - طبع الكتاب بالمعهد الوطني التربوي، الجزائر .
[3] - د،جلال العظم و *آخرون ،أثر الثورة الفرنسية في فكر النهضة ،دار محمد علي الحامي بتونس ط/1991،1،ص:14.*

مدة طويلة حتى بعد انتصار الثورة لم تتأثر بصفة مباشرة بالثورة و إنما كان أثر المجتمع الفرنسي فيها واضحا بعد قرون من الزمن و لم تزل شعوب أخرى تأخذ من المبادئ بكثير من الاحتشام و التخاذل .ومن ذلك مثلا أثر الفلاسفة و الكتاب الفرنسيين (دير مونتسكو،فوتار ،وروسو) . في المجتمع الروسي ثقافته[1].

ثقافة حقوق الإنسان:

استمد بيان حقوق الإنسان و العوامل بعض المبادئ التي أكد عليها إعلان الحقوق في فرجينيا (حريزان 1776) و في بيان الاستقلال أو في دساتير الولايات المحتدة الأمريكية .

ولكن إعلان حقوق الإنسان و المواطن في الثورة الفرنسية سنة 1778 كان أسع و أشمل بحيث يتوجه رسميا إلى كل البشرية فهو انتصار للحق الطبيعي للإنسان عامة فهو ليس حقا و إنما حقوق متعددة "الحقوق الطبيعية الأزلية للإنسان ":الحرية ، الملكية ،الأمن ،مقاومة الظلم .بينما إعلان الاستقلال الأمريكي اكتظ بضمان الحياة و البحث عن السعادة للمواطن الأمريكي [2] و البقاء للأصلح "Survie des plus aptes [3].

لا تختلف مبادئ الثورة الفرنسية كثيرا عن مبادئ الثورة الأمريكية و الفرق بينهما في الخصوصية و الشمولية ،فإذا كانت الأولى تهدف إلى شمولية الإنسان في كل بقاع العالم فإن الثانية توجهت لحل مشكلة الإنسان في أمريكا . و الإنسان الأمريكي يختلف في ظروفه عن الإنسان الفرنسي و الأوربي من حيث الحياة و الوطن و الثقافة و التنشئة الاجتماعية و النفسية .و قد نتج عن تطور الوعي الاجتماعي الفرنسي و الأدباء بما أصاب أمريكا من تطور ورفه

[1]-Emile haumant ,La culture Française a Russie (1700-1900) ,2°Ed ,Parise ,1913PP : 132-137.

[2] - حال توشار ،تاريخ الفكر السياسي :ترجمة :د علي مقلد ،الدار العالمية للطباعة دار النشر و التوزيع .بيروت .ط2.

[3] -Madeleine Grauvitz ,methode des sciences sociales , 4ed.Dallozn ,Paris 1979,P :143.

حيث أصبح حلما و راح هؤلاء الأدباء يؤلفون قصصا حول هذا الموضوع من ذلك رواية "كانديد "لفولتار و السفر إلى بلد الألد ورادو،بلد الذهب ... [1]

14 جويلية 1789:

- الاستيلاء على الباستيل و المصادقة على العالم الوطني الملون .

- إلغاء المؤسسات و الأنظمة العامة الخاصة بالقرون الوسطى .

Que la révolution française ait finalement aboutit à la réalisation ou l 'unaire nationale et l'établissement d'une Démocratie libérale représentative[2]

و فكرة الوحدة الوطنية و الاتحاد بين أبناء الشعب الفرنسي قديمة جدا و قد نادى بها الكتاب و الفلاسفة و الأدباء الفرنسيون أيما نداء و نظروا لذلك و كتبوا العقود و تنبأ بسقوط الإقطاع و زوال الظلم في كثير من الأعمال الروائية الفنية الراضعة ، وهذا جان جاك روسو يقول عن الوحدة الوطنية في "العقد الاجتماعي ":

Le contral social " :"Chacun de nous ;met en commun sa personne et " tout la puissance sous la suprême direction ou la volonté générale ,et

---

[1] -Ander le Breton : Le roman Français au XVII Siecle ,Nouvelle Bibliotheque letteraire , ed Bivin Paris.Sans date p :212.

[2] - Encyclopédies Universalise .T : 14p :208.
G.Le febre :-Les thermidoriens. Paris 1937.
-La révolution française .paris 1951-3eme Ed.

nous recevons encore chaque membre comme partie indivisible du tout...[1]

نظرة عامة عن نتائج الثورة الفرنسية:

و هذا جدول زمني لإعلان مبادئ الثورة الفرنسية مفصل حسب التسلسل في تاريخها:

26 أوت 1989:الإعلان عن حقوق الإنسان و المواطن ثم يعلن عنها في وثيقة تاريخية رسمية سنة 1793،ثم تؤكد الوثيقة بمبادئ سنة 1948.

24اوت 1790:يلحن Rouget de liste النشيد الوطني الفرنسي باستراسبورغ la Marseillaise.[2]

22سبتمبر 1792:كل الأعمال الحكومية تؤرخ من اليوم فصاعدا بالنسبة الأولى لإعلان الجمهورية.

25 سبتمبر1792:الإعلان عن الجمهورية الفرنسية الأولى .

25 سبتمبر 1792:الإعلان عن الجمهورية الفرنسية واحدة و غير قابلة للتقسيم

La République Française est déclarée une et indivisible.

19فبراير 1793:مجانية التعليم و إجباريته.

---

[1]- JJ.Roussau : Control Social :20.
- جان جاك روسو ،العقد الاجتماعي ،ترجمة :عيد الكريم أحمد .مراجعة :توفيق اسكندر ،الهيصة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ،مكتبة الأسرة ،ط2002،ص:89.

[2] -D’abord intitulée "chant de guerre de Larne du Rhin, fut chantée par les marseillais (P. Larousse 1-Ed) paris 1981 p:1159.

"Décret instituant la gratuite et l'obligation de l’école primaire ".

08 فبراير1793:حرية المعتقد و إلغاء المساعدات المالية لرجال الدين .

Robespierre fait décréter la liberté des cultes "."

21 فيفري 1795 :فصل الدين عن الدولة .

"Confirmation de la séparation de l Eglise et de l’état".

25اللغة العربية إجبارية في كل أعمال الدولة و الحكومة .

"Le français langue obligatoire dans tout les actes publiques".

- تأسيس الحرية الديمقراطية النيابية الليبرالية الممثلة .

- تأسيس مبدأ الانتخاب الحر و إنشاء مجلس النواب (التمثيل النيابي).

- قرار "بارير"،“Barere” بإزالة التّسول .

”le rapport de Barere sur l extinction de la Mendicité“.

- القضاء على الرّق و العبودية .

Abolition ou l esclavage dans les colonies françaises“.“

- تبني منهج العقلنة و تشجيع العلم و العلماء :و قد نادى بهذا المبدأ الفيلسوف الفرنسي "روني ديكارت "Rêne Descartes منذ ة سنة 1637[1].

[1] - Rêne Decartes , Méditation métaphysiques ;trad. présent : Michelle Beyssade Libre Gle.franc.1990p :283.

الثورة الفرنسية جاءت لمسح الغبار عن كثير من الأمور التي ركبها الصدأ فضت عليها الدهور البالية بانتشار الحروب الصليبية هنا و هناك و طغيان الجانب الديني عند النصارى المشوب بالشعوذة و التضليل فكانت الكلمة لرجال الدين الذين فسدت بطانتهم و سرائرهم و استبعاد لدى شعوبهم،لذا كانت هذه الثورة ثورة على الإقطاع و ثورة على رجال الدين المسحيين و ثورة على الأفكار الصدئة ، و ثورة على الغيبيات المزيفة ليحل محلها العقل و العلم و الدين الصحيح الصالح الذي يزجه البشر إلى الطريق السليم و يهذب أخلاقه و يساعد ضعافهم و الناس أحرار في دينهم و حياتهم ، و لا دخل لهذا الدين المسيحي الجديد في السياسة في ذلك الوقت . و اعتقد طه حسين جازما أن الأزهر و رجاله يشبهون الكنيسة و قساوستها في تحجر الأفكار و التعصب لها و الابتعاد عن منطق العلوم [1].

أثر مبادئ الثورة الفرنسية في أدب الفرنسية

الاعتناء بالعلم و العلماء و أثره في رواية "أحلام شهرزاد":

كثيرا ما يحلم بنو الإنسان بالعلم وطلبه قديما وحديثا ويحلمون بالتفوق فيه على غيرهم من الناس أو على غيرهم من الشعوب ،خاصة بعد أن أصبح هذا التفوق العلمي يرفع من مكانة الدولة ويزيد في رقي الشعوب ورفاهيتها ويضمن لها الغلبة على الدول الأخرى وهل هناك شيء أخر غير العلم والتطور العلمي يضمن للدولة بقائها وصمودها أمام كل التحديات ؟ لهذا يلح طه حسين كثيرا على العلم وطلبه ولكنه لا يرضى بأي علم وإنما هناك علوم متفتحة لها الفائدة العظمى والمنفعة للشعب و الدولة، و هناك علوم لا طائل من ورائها يقول أو تقول فاتنة في الرواية :".....لأنني صرفت عن هذه الحياة الباطلة التي يحياها بنات الملوك في ظّل آبائهن ناعمات

[1] - الهادي العلوي ،طه حسين و التعصب الديني ،مقالة بمجلة "قضايا و شهادات ":طه حسين :العقلانية الديمقراطية ، الحداثة ،مؤسسة عيبال بدمشق ، ج1 ص:317.

بالعيش الرخي ،طامعات فيما تكتشف لهن عنه الأيام مفكرات فيمن يسعى إليهن محبا أو متلمقا أو خاطبا صرفت عن هذا كله و عن أشباهه إلى النظر في حكمة الأولين و المحدثين ،و إلى كثير من التجربة و الاختبار ، ما أعرف أن أحدا عني بمثلها "[1]و يظهر أن طه حسين يرى بأن العلم و حده و التجربة ة الاختيار بقدر سيطرته على حياته و حياة من حوله في العالم ، و هو لا يكتفي بالعلم ، و إنما العلم عنده القائم على تجربة و الاختبار و يتحكم فيه العقل[2] لا العاطفة .

الدعوة إلى الثورة و المساواة:

ضاق طه حسين بسكوت شعب مصر على تسلط الإقطاع و الاستعمار معا و كره في نفسه أن يعيش و يشاطرهم المذّلة و الهوان و بيده التغير كما فعل شعب الثورة الفرنسية الذي قطع على الإقطاع و استن لنفسه سننا و قوانين تحمي من يأتي بعده إلى يوم الدين .وللأدب أن، يعكس ثور الفرقة الأفكار الاجتماعية و إمدادها بوسائل المقاومة والعمل و الفرق بينهم و بيننا

يكمن في الحركة [3] ما بال هذه تقول فاتنة :"فأنبئني يا أبت ما بال هذه الرعية لا ترفق بنفسها ...فأين يكون الفرق بينها وبيننا؟! أليس الرجال منها و النساء و الشباب منها و الشيوخ يشعرون كما نشعر،و يحسون كما نحس و يجدون اللّذة و الألم كما نجد اللّذة و الألم ، و يحبون الخير و يكرهون الشر كما نحن نحب الخير و نكره الشّر؟! فما طاعتها لنا في غير روية و لا تفكير بل في غير فهم لها به تؤمر و تقدير لما تدعي إليه".

يقدم طه حسين على لسان فاتنة درسا لشعب مصر يحرضه على الثورة ضدّ النظام الإقطاعي الملكي البالي و الإقطاعي المتخلف و ينطلق العميد من رؤية حضارية تاريخية للشعب المصري

[1]- طه حسين ، أحلام شهرزاد ،دار المعارف بمصر ،ط8،ص:33.

[2] - د.محمد مهران ،فلسفة برتراند رسل ،دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ،1979،ص:142 .

[3] - مالك بن نبي ،شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مقاوي و عبد الصبور شاهين ، دار الفكر بيروت ط1987؟3،ص:93.

ووطنه فهي استلهام للمكان و الزمان و بأن هذه الأرض تلد العمالقة و الحضارات فهو بعث للحركة الحضارية لهذا المكان [1]

و يستعمل طه حسين أسلوب القلب في المعاني ليتقي شّر الحكام بتوظيفه لكثير من الرموز "...فنحن من نار و هم من طين فأما أ، نتسلط على الجن الذين خلقوا من عصرنا ..."[2].

إن طه حسين ألف هذه الرواية في خضم أحداث الحرب العالمية الثانية (1942-1943) حيث كانت الشعوب العربية مستعمرة بما في ذلك شعب مصر الذي كان تحت الاستعمار الإنجليزي .

عدم المساواة بين الملك و الرعية خطأ:

" يقول الملك (طهمان بن زهمان) لابنته فاتنة :و كان هذا بين السيد و السود خطأ أينبغي أن يستمر الخطأ؟! " [3] .

يعتبر هذا المبدأ في التسوية بين الملك و الرعية من أثار الثورة الفرنسية أيضا و أساسه الديمقراطية و إلغاء الفوارق بين أفراد الشعب و تشجيع الاستعدادات الفردية بغض النظر عن الانتماء الطبقي للأشخاص وهو الذي رسخ مبدأ التداول على السلطة و هو أيضا مبدأ جديد و يذهب طه حسين إلى أبعد من ذلك حيث يصرخ أن هذه الفوارق بين الملك و الرعية إن وجدت بحكم الطبيعة فعلينا أن نغير أو نغير من طبيعتها بعد الانتصار الذي حققته العلوم و انتشا ر نتائجها التي بهرت العالم و قربت المسافات و الأبعاد.

---

[1] - حسن مجيد العبيدي ،ننارية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1987،ص93.

[2] - المصدر السابق، ص:65.

[3] - طه حسين أحلام شهرزاد ،ص:66.

إن طه حسين يحلم كما تحلم شهرزاد بالحرية و المساواة و الديمقراطية و الفارق بين حلمه و حلم شهرزاد انه هو يحاول إيقاظ النفوس اليائسة نفوس المصرين النائمين ونفوس العرب الغافلين بأن لهم حقوق يجب أن يطالبوا بها وأنهم كغيرهم من الملوك و البشر الذين يحكمونهم يساعدهم في ذلك العلم و المعرفة

كذلك حرية التعبير و حرية طبع الأفكار و نشرها كذلك حق التملك و حريته .

ملخص الرواية :

لما كانت الليلة التاسعة بعد الألف أفاق شهريار من نومه مذعورا و جعل يتسمع لعله يجد ذلك الصوت الذي ايقظه فلم يسمع شيئا و جعل يمد يده عن يمين و يمد يده عن شمال ليتبين أينكر من مضجعه شيئا ، فلم ينكر شيئا ثم استوى جالسا في سريره و جعل يدير رأسه عن يمين و عن شمال و يمد بصره في الظلمة المتكاثفة من حوله كما يمد سمعه في الصمت المنعقد في غرفته فلا يقع بصره على شيء و لا ينتهي سمعه إلى شيء و لا تصل نفسه إلى شيء فلم يشك في ان طائفا قد الم به أثناء النوم فرده إلى اليقظة ردا لم يخل من بعض العنف ، و ما أكثر ما تهيم في ظلمات الليل هذه الأرواح المشردة التي تنطق في لغاتها الخفية بألفاظ تصل إلى نفوس الرقود أحيانا كما تصل إلى نفوس الإيقاظ أحيانا أخرى فيفهمون عنها مرة و يخطئون الفهم مرات ، و يكون لهذه الألفاظ الغريبة المبهمة في حياة الناس اثار غريبة مختلطة

؛ منها الخير و منها الشر ، و مهما يكن من شيء فقد عاد شهريار إلى نفسه و ارتسمت على ثغره ابتسامة سريعة لم تلبث ان مرت كأنها البرق.

و ثارت في نفسه عاطفة ضئيلة و لكنها حادة فيها شيء من حسرة و فيها شيء من يأس و فيها شيء من حزن على عهد قد انقضى و ليس إلى رجوعه من سبيل
ثم ثاب إلى الملك رشده فتمكن في مضجعه و أغمض عينيه و ضم يديه إلى صدره و دعا النوم إلى نفسه دعاء قويا ، و كأن النوم كان ينتظر ان يبلغه هذا الدعاء فما أسرع ما مد ذراعيه فطوق

بهما عنق الملك الحزين في كثير من الرأفة و الرحمة و الحنان ، و اذا الملك ينسى نفسه و يمعن في هذا الرقاد الحلو الهادئ المطمئن ، ولم يدرك الملك أطال هذا الرقاد ام قصر ، و لكنه أفاق مرة اخرى مذعورا و مد بصره في الظلمة المتكاثفة و مد سمعه في الصمت المنعقد و تحسس بيديه عن يمين و شمال فلما لم ير شيئا و لم يسمع شيئا و لم ينكر شيئا ؛ انكر نفسه كلها ، و نهض من مضجعه متثاقلا فجعل يمشي في غرفته على غير هدى حتى انتهى إلى نافذة الغرفة ففتحها و كان ذلك اذنا لضوء القمر ان ينسل في هذه الغرفة و لكنه لم ينسل و انما اندفع إلى الغرفة اندفاعا اضاء له كل ما في الغرفة من فضاء و من اثاث . هنالك أدار الملك بصره في الغرفة فلم ينكر من امرها شيئا ثم اشرف من النافذة فاستنشق الهواء الطلق و مد بصره في الفضاء العريض المنبسط أمامه ، فلم ير الا هذه الاشجار الباسقة الشاهقة في السماء و قد لبست من ضوء القمر أدرية نقية ناصعة ، و امتدت غصونها تضطرب في الهواء اضطرابا خفيفا و كأنها ترغب في النوم هذه الطير التي أوت اليها حين ولى النهار ، و كأن هذه الطير قد سكنت إلى حركاتها الخفيفة المنتظمة فنامت مطمئنة وادعة ، لولا احلام خفيفة خفية كانت تمر بنفوسها الضئيلة الوادعة ، فتبعث من أفواهها اصواتا قصيرة حلوة و تبعث في أجنحتها خفقات يسيرة لا تكاد تبدأ حتى تنقطع و قد أطال شهريار وقوفه أمام هذه النافذة مادا بصره في هذا الفضاء العريض و مادا سمعه في هذا الصمت الجاثم عليه و

ممتعا نفسه بهذا الضوء الرقيق الذي يترقرق بينهما و بهذه الأصوات الرشيقة التي تبلغه من حين إلى حين حتى إذا أناب إليه الهدوء و أمتلأ قلبه سكينة .

و آنست نفسه أمنا و دعة تراجع متثاقلا و لكنه لم يذهب إلى مضجعه و إنما ذهب إلى مجلس من مجالسه في الغرفة فترامى عليه متهالكا و قد أزمع أن ينتظر مطلع الصبح يقظان ؛ فقد كره مضجعه و كره النوم و كره هذا الطائف الذي أخذ يزعجه منذ الليلة.

رواية "أحلام شهرزاد"، لطه حسين:

بطاقة فنية :

العنوان:أحلام شهرزاد.

أحلا طه حسين ليست أحلام شهرزاد و حدها ، و إنما هي أحلام كل الشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها ، مل الشعوب التي تصبوا إلى الحرية و التحضر و نهج الديمقراطية .فهي أحلام الشعوب العربية و الإسلامية،و هي أحلام الشعب المصري .

شخصية شهرزاد:

ترمز إلى كل الشعوب العربية الإسلامية و الشرقية عامة بما في ذلك شعب مصر بحكم انتماء القصة إلى التراث العربي الإسلامي، فهي إذن لسان هذه الشعوب و أحلامها.

و ترمز شخصية شهرزاد إلى القهر و الغبن المسلط على المرأة العربية خاصة و يضاف إليها في الرواية الغبن المسلط على الشعوب العربية رجالا و نساء.

و ترمز هذه الشخصية أيضا إلى الذكاء الذي تميزت به شهرزاد في التراث العربي و في الرواية من خلال قدرتها على الاستمرار في القّص و من خلال إمكاناتها الذهنية الدفينة

الكافية في قواها العقلية و الجسدية و إن كان طه حسين يستعين على ذلك بالخوارق و الأعاجيب .

شخصية شهريار : هو نموذج لملوك الأمم المتخلفة ،و هذه الشخصية في لهو مستمر **و** مجون على شكل حلم و غارقة في ملذاتها و شهواتها و لا تخاف رقيبا و لا حسيبا و مع ذلك لا تتورع عن البطش بالعباد و البلاد و لا تهمها من الأمور إلا السعي و راء اللذة و الاستبداد

ولا تعير اهتماما للرعية عامة ثم هي لا تكفي بذلك و إنما تعبث بالنساء عبثا لا حدود له ثم تقتلهن كالطفل الذي لعب باللعبة فإذا انتهي منها أو ملها كسرها .

تقول له شهرزاد:**"**لقد هانت عليك أمور الملك يا مولاي**!...**ألم تحاسب نفسك على هذا الوقت الطويل الذي أنفقته في غير شؤون الملك**؟"**[1].

الطائف (أو الطيف أو الهاتف):و هو نوع من السند يتكئ عليه الروائيون لإثراء الحديث و المساعد عمل الشخصيات ثم تسهيل العملية الإبداعية في الرواية و غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى و هو توظيف لبعض الخوارق المساعدة.

فاتنة : و هي إحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية و هي بنت ملك الجّن وهي ملكة أيضا ورثت ملك أبيها بل تنازل عنه لها وهي ترمز للمرأة الحرة المتعلقة حيث تثبت بأنها قادرة على تسير شؤون الرعية .

و على لسانها يتحدث طه حسين و من على منبرها يعظ الملوك و الحكام المتسلطين المتجبرين أن يعوا و يعتبروا بشؤون الشعوب التي لها حقوق عليهم ومن على المنبر نفسه يحرض الشعوب العربية و الشعب المصري خاصة على التمرد و العصيان و الخروج عن الطاعة فلا طاعة لمخلوق أو لملك في غير المصلحة العامة للبلاد و العباد.

الملك طهمان بن زهمان: يمثل شخصية الملك ملك الجّن و هو الذي يتنازل عن الملك لابنته و بذلك يعطي طه حسين درسا للملوك في التنازل عن العرش ليس للذكور فحسب و إنما للإناث،و ليس هذا فحسب بل يثني هذا الملك قدرة التسيير و الحكم عند ابنته و يشهد أنها أقدر منه في نظام الحكم و اسم الملك بهذه الموسيقى يوحي أنه يشبه سلوكنا نحن العرب فلهذا يعتبر

[1] - طه حسين أحلام شهرزاد ،ص:148.

هذا الاختيار في الأسماء و العوالم ضربا من الأحلام التي يحلم بها طه حسين و يتمنى أن يحصل منها في بلدنا العربية و في مصر خاصة .

شخصيات أخرى :الشخصيات الأخرى من ملوك الجنّ و راعياتهم و مساعديهم إنما كلها لخدمة الشخصيات الرئيسية في الرواية و خدمة الحدث .

الأحداث:

الرواية عبارة عن أحلام صاغها طه حسين في قالب فني رائع من التراث الأدبي عند العرب و هو موضوع"ألف ليلة و ليلة "و هذه الأحلام في غالبيتها عبارة عن دروس و مواعظ تقدم للملوك و رعاياهم و الأحداث تبدأ بالليلة التاسعة بعد الألف (1009) حيث يبدأ الحلم الأول و تنتهي الأحداث بالليلة الرابعة عشر و الحلم الرابع عشر (الليلة 14،الحلم14)بعد الألف إذا فالأحداث تبدأ برقم "09" و تنتهي برقم "14" إنها الألف 1000 فإنما ترمز إلى معنيين:

الكثرة فيما يتمناه طه حسين و يحلم به الشعب العربي .

التمويه و التضليل حتى لا يتفطن ملك مصر إلى هذا النوع من النقد.

الرقم "09": يرمز إلى السنة التي زلزلت فيها الثورة الفرنسية العالم بقضائها على الإقطاع بفرنسا سنة 1789م و هو حلم من أحلام طه حسين وأحلام شعب مصر العربي لما يحمله هذا الرقم و هذا التاريخ من معاني سامية ما تزال حية شامخة إلى يومنا هذا .

الرقم "14":يرمز إلى إنتصار هذه الثورة على الباستيل في 14جويلية وهو تاريخ احتفال فرنسا بعيد النصر و يحلم أيضا طه حسين أن يحصل مثل تاريخ 14 عندنا بقيام الشعوب على الإقطاع.

و طه حسين لا يكتفي بالحلم و إنما كأنه يقرض نفسه أن هذا الوقت آت لا محالة لأن شهرزاد عندما تبدأ عملية القّص و هي نائمة تكتمل القصة التي لم تنتهي من قصها البارحة و ثم تبدأ القصة الجديدة حتى و لو لم يكن فالاستماع إليها أحد ،و على الملك أن يذهب إليها ليستمع إلى

قصتها في كل ليلة يقول له الطائف:"...إن كنت في حاجة إلى أن تسمع حديث شهرزاد فأسرع إلى مجلسك من سريرها فقد آن لها أن تأخذ في الحديث و ما أراك تحب أن تقص بقية خبرها على غرفتها تلك و ما فيها من الأثاث "[1].

المكان :حضر موت،

تقول شهرزاد للملك :"بلغني أيها الملك السعيد أن طهمان بن زهمان ملك الجّن في حضر موت ..."[2]، و استعمال طه حسين لهذا المكان باليمن إنما على سبيل التضليل و التمويه ،و لكنه لا يرمز أيضا إلى الجذور الحضارية لحضر موت الضاربة في أعماق التاريخ و الحضارة و هو يرى بأن فرنسا و حضارتها من سلالة حضارة اليونان القدماء و الرومان و توظيف حضر موت إبعاد لأنظار الحكام و الملك في مصر عن أن ينتبهوا لما يكتب و هو أيضا إشارة إلى بلاده (الملك)-إذا لم يقل الملوك-.

بداية القصة : تبدأ القصة و هي نائمة و هي تقول للملك شهريار :"بلغني يأيها الأمير الملك السعيد أن طهمان بن زهمان ملك الجّن قد حضر موت كانت له فتاة حسناء ..."[3].

نهاية القّصة :يلخص طه حسين ما أورده في نهاية عملية القّص التي جاءت على لسان فاتنة حيث تقول لوالدها و تقص شهرزاد ذلك على الملك :" ومن يدري يا مولاي **!** لعـل علم الجّن أن يصل إلى الناس ذات يوم أو ذات قرن واضحا جليا لا لبس فيه و لا غموض ، أو لعل عقول الناس أن ترتقي ذات يوم أو ذات قرن إلى حيث تفهم عن الجّن في غير مشقة و لا جهد ، يومئذ أو وقتئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان "[4].

[1] - المصدر السابق، ص:29.
[2] - المصدر السابق، ص:16.
[3] - المصدر السابق، ص:16
[4] -المصدر السابق، ص:142.

و تختم شهرزاد الحديث بذلك و يأتي طه حسين بالأزمة لازمة التكرار فيقول :"و أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح"[1].

النساء عند طه حسين : فهو لا يتناقض في تصويره للنساء إنما يقابل بين الشيء و ضده بين الصفة و ضدها (Contrasse) فانظر إلى هذا الوصف عندما يقول عن شهرزاد :ثم يرق صوت شهرزاد و يلين حتى كأنه رحمة كله .

يقول طه حسين على لسان شهرزاد :.."ففي نفوس الناس و في نفوس النساء خاصة فساد كثير و شرّ عظيم تخفيه ظروف الحياة و خطوبها، و تظهر محن الحياة و تجاربها " [2]

إن مثل هذه الآراء لا تصدر إلا عن نفس يكون قد خالطها شيء من الاشمئزاز من عنصر الجنس اللطيف و غالبا ما تكون نابغة من نفس مسها شيء من القساوة و عذاب النفس ،و يضيف قائلا على لسانها :"فنفوس الناس عامة و نفوس النساء خاصة مشكلة معضلة قد عجزت عن حلها حتى فطنة شهرزاد .إن هذه النفوس الغامضة التي نغصت أيامك و أرقت لياليك لا تمتاز بشيء و إنما هي نفس امرأة لا أكثر و لا أقل "[3]

و لكن طه حسين لا يتفرد بمثل هذه الآراء في النساء و إنما يورد ما يناقضها أو بالأخرى ما هو أصح بصفات النساء حيث يصفها قائلا على لسان الملك الجن :"و لكل قلوب النساء لرحيمة و أكبادهن رقيقة و طباعهن لينة صافية "[4].

[1] - المصدر السابق، ص:142.
[2] - المصدر السابق، ص:112.
[3] - المصدر السابق، ص:112.
[4] - المصدر السابق، ص:58.

إن السحر الذي تتميز به فاتنة ملكة الجن ليس سحرا كما نعتقد و غنما بل هو العلم و التكنولوجيا و التطور العلمي الذي تتميز به دول الغرب ،فبهذا النوع من العلم تقهر الأعداء و تقهر قوى الشّر ، و تدمر قوى الأسلحة بما استجد منها و رغم ذلك كله فأصحاب العلم يدعون إلى السلم كثيرا و يندبون الحرب .

الهدف: و الرواية بشخصياتها عبارة عن درس أو دروس يقدمها د.حسين للملوك الحكام على أن يتعلموا نظّم الملك و نظّم الحكم و تسيير أمور الدول ،يتعلمون ذلك من ممالك الجن و مملكة الجن ما هي إلا فرنسا خاصة إدا علمنا أنه يقول عن باريس بأنها **"بلد الجّن و الملائكة "** في رواية **"أديب"** و يشبههم بالجّن لتطورهم العلمي و حرصهم على العمل و قيمته و لكنه يسرد ذلك كله في أسلوب قصصي شيق و جميل على شكل أحلام و على غرار قصص**"ألف ليلة و ليلة ".**

أوجه التوافق:

الشخصيات الرئيسية ذات طابع غير عادي و لا ينتمي إلى الواقع، طابع خيالي و موضوع المرأة و معالجتها في قالب خيالي أيضا.

بنت الملك و زواجها .

إجراء مسابقة بين الخطاب لنيل يدها(فاتنة)و إقامة حفل لإجراء هذه المسابقة و المسابقة هي في الحقيقة أسلوب من أساليب تحقيق المساواة و العدل في الحظوظ و تكافؤ الفرص بين أفراد الجماعة (الرعية)ثم هي بعد ذلك تثبت أن البقاء للأصلح .

و جود الجّن و الأعاجيب و الخوارق.

إضفاء الجوّ الشرقي السحري على الرواية.

الطائف الموجود في "أحلام شهرزاد لطه حسين الطائر الذي يتكلم عند فولتارو الذي يتميز بالخفة و السرعة و الطيران كالطيف .

الحديث عن الحب و أنواعه عند طه حسين في أحلام شهرزاد تعرفك.

يقول طه حسين على لسان شهرزاد:من أنا؟أنا شهرزاد التي أحبتك قبل أن تعرفك كما لم تحب فتاة رجلا من قطّ..أريد أ، تكون سعيدا موفورا ...أنا من تحب أن ترى في اي ساعة من ساعات النهار و في أي ساعة من ساعات الليل أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم ، و أنا أختك حين تحتاج إلى موّدة الأخت و أنا إبنتك حين تحتاج إلى برّ البنت و أنا زوجتك حين تحتاج إلى عطف الزوج ، و أنا خليلتك حين تحتاج مرح الخليلة أنا كل هذا .و ما أريد؟أريد الأم لإبنها و ما تريد الأخت لأخيها و ما تريده البنت لأبيها و ما تريد الزوج لزوجها الوفي و ما تريده العشيقة لعشيقها المفتون [1].

و لكن طه حسين لا يكتفي بأنواع الحب هذه المعروفة لدى الجميع و إنما يذهب ألى أمور أخرى و أنواع تكاد تتفرد بمفهومها للحب و أركانه و المحافظة عليه و تقويته و كأنه ينصح المحبين بذلك .و أنه سيجد بين الحب و المعرفة قوة تحبب اليه الحياة و ترغبك فيها.

- الصراع بين الخير و الشّر.
- الحرب و السلم.
- الحق و الواجب .

الأعاجيب و الخوارق:

من هذا الجو العجيب المليء بالخوارق ما يقول الطائف لشهرزاد:"...إن كنت في حاجة إلى أن تسمع حديث شهرزاد فأسرع إلى مجلسك من سريرها فقط أن لها أن تأخذ الحديث وما أراك تحب أن تقص بقية خبرها على غرفتها و ما فيها من الأثاث".[2]

[1] - المصدر السابق ،ص:48.
[2] - طه حسين ،أحلام شهرزاد،ص :29.

يبين لنا طه حسين في هذا النص أن شهرزاد سوف تتحدث في غرفتها و هي نائمة فإذا لم يسرع شهريار إلى غرفتها ليستمع إلى قصصها فسوغ يفوته جزء من ذلك و الإخبار عن القصص في حالة النوم عند البشر و بهذه الصفة لا يقع غلا في ألف ليلة و ليلة و ما شابهها من قصص الشرق العجيب و تسلل شهريار إلى غرفة الملكة قد أحست مقدمه[1]

الســــحــر:

هذا السحر هو ما هو إلا العلم المتطور الذي عرفته أوربا عامة و فرنسا خاصة هذا العلم أو هذا السحر فيه منافع للناس كثيرة إذا أحسن استعماله و توجيهه يقول : وإنما هو موجه الى الخير كل الخير موجه إلى عصمة النفوس وحقن الدماء وإقرار الأمن وحماية الصلاة التي تقوم بين الدول على المودة والمعروف [2].

ان هذا المجال يكاد يغلب على هذه ه الرواية نظرا لتوظيف قص ألف ليلة وليلة ونظرا للتوظيف عالم الجن ممزوجا بالعوالم الأخرى .يقول الملك لابنته "فاتنة":يبلغنا قط أحد من فتياننا و لا من فتياتنا ؟" [3]

يضيف طه حسين "السحر " في عالم الجن و لكنه لا يكتفي بذلك و إنما يورد بعض الخوارق ليدلل على قدرة الجن ووجود في العمل الروائي هذا.

الـــخـــوارق:

يقول طه حسين في ذلك :"ثم مدت يدها في الهواء و ردتها فإذا فيها علبة صغيرة مربعة من معدن تحمل أختاما كثيرة فوضعتها بين يدي الملك ثم أشارت إليها فإذا هي تفتح دون أن تمس

---

[1] - المصدر السابق ،ص:29.
[2] - المصدر السابق ،ص:120.
[3] - المصدر السابق، ص:32.

أختاما بفساد ما ،ثم تخرج منها قطعة رقيقة من الرصاص فتدفعها إلى الملك و ينظر فيها ثم يردها إليها و قد بلغ منه الدش مبلغه و انتهى السرور به إلى أقصاه..."[1]

يتجلى لنا في هذه الفقرة توظيف بعض الخوارق التي لا وجود لها في عالمنا اللهم إلا في قصص "ألف ليلة و ليلة ".يلجأ الكاتب إلى إستعمال الرموز و توظيف الأساطير و الخوارق و الجن للتعبير عما يختلج في نفوس البشر و ما يشعرون به و ما يتمتعون به من حقوق و ما عليهم من واجبات .

الصراع بين الخير و الشّر ليس جديدا و لا خاصا بطه حسين أو غيره من الأشياء و إنما هو صراع قديم أزلي و يبدأ مع سيدنا آدم و أمنا حواء ثم الصراع بين قابيل و هابيل ثم صورته أخيلة الشعوب القديمة كاليونان و الرومان مثلا حين امتلأت بأساطيرهم التي تصور حدة هذا الصراع و لا تقدمه ّ عنه والتأثير علاقة متبادلة بين الحضارات الحيــة في الميادين العلمية والأدبية وقد ي كان النقد الأدبي العربي من الميادين التي شــهدت التأثــر والتأثير. إن أثر النقد الغربي علــي النقد العربي الحديث بــارز لأن الواقع العربي الجديد يطلــب ضرورة جديدة في المجــال الأدب والنقد كما يطلب الأدباء و الشــعراء العرب ضــرورة جديدة في رأيهم وفكرهــم ويبحثون عن أشــكال جديدة فرضتها الحياة المعاصــرة ضمن دائرة الحداثة الغربية. والناقد يواجه أجناســا أدبية لم تعرفها الثقافة العربية القديمة بينما نقرأ في ضوء النقد العربي القديم نصوصا مسرحية وروائية وقصصية متأثرة بالآداب الغربية كما نقرأ الشــعر العربي الحديث في ضوء القواعد التي وضعها النقد الغربي ويتسلح ببعض أدواته المعرفيــة التي تطورت تطورا كبيرا بفعل تطور العلوم الحديثة ولهذا تأثرت قواعد النقد العربي منذ بداية

القرن العشرين بالتيارات الغالبة في أوروبا .المؤثرات على النقد العربى في القديم لقد أجمع الباحثون المعاصرون من عرب و مستشرقين علي وجود التأثير الهيليني في بأس أن يوظف

[1] - المصدر السابق،ص:33.

الأدباء شعراء كانوا أم واقعين و يصورون الصراع بين الخير و الشر و ينتصرون غالبا للخير ، عملا بقول الرسول صلى الله عليه و سلم :" لا ينقطع الخير من أمتي..."و لذا وظّف طه حسين هذا الصراع يقول على لسان الملك:"مرحى يا ابنتي ما أحسن وقع ما تقولين في نفسي و ما أحبه إلى قلبي وما أدناه إلى المثل الأعلى الذي طالما أمثله و سموت إليه دون أن أبلغه أيمكن يا ابنتي أن تبلغيه و أنا حاضر أشهد فوز الخير على الشر و انتصار الرحمة على القسوة"[1]

المشاركة في الحرب العالمية :

الحرب و السلم :

يرى طه حسين أن زّج الشعوب في الحروب بكل أنواعها هو ظلم في حقها و في حق الإنسانية جمعاء يقول في ذلك ما قيل للجنود المحـــاربين للألمان في الحرب العالمية الأولى:"إنهم لا يحاربون ألمانيا وحدها و إنما يحاربون الحرب نفسها و أنهم إذا انتصروا فسيقضون على الحرب قضاء لا مرد له...و تبين أن الملاين من الجند قد أضحى بها في سبيل الكذب و الغرور و أن الشعوب الضعيفة قد ضللت تضليلا .و في الحرب العالمية الثانية لا تلبث الإنسانية أن ترى الجوقة يعود أضرى مما كان و أعظم هولا لا يخلع قلوب المحاربين و حدهم و لكنه يخلع قلوب الآمنين الوالدين لم ينوا الحرب و لكنهم اصطلوا بنارها[2] فهو يرى بأن الحرب عبارة عن مغامرة السادة و القادة الذين هم في مأمن من مصائبها ، و الذين يدفعون ثمنها هم الجنود إن كانوا رافضين لهذه الحرب راغبين عنها محبين لحياة السلم و الأمان في دنياهم .

أما طه حسين فيصنف هذه الرواية "أحلام شهرزاد "ضمن الروايات التاريخية ذات الإنتماء العربي و قد تأثرت فيها طه حسين بأسلوب السرد العربي القديم في "ألف ليلة و ليلة ".

[1] - المصدر نفسه ،ص:116.
[2] -طه حسين ،كلمات ، دار العلم للملاين ، بيروت ،ط1982/4،ص:112.

يقول طه :"و بطلة الرواية ابنة لأحد ملوك الجّن يناقش الكاتب على مكانها في كثير من الأمور الإصطلاحية مثل السخرية من الشعوب التي لا تطالب بحقها .

الإعتراف بحرية المرأة و صواب آرائها و قدرتها على تولي الحكم و سياسة الأمور فقد من الملك ببراعته و جيدته"و كان يرى إرتقاءها إلى العرش حقا و عدلا فقد ردّ السلطان إلى أهله ووكل الأمر إلى من ينبغي أن يوكل إليهو بدأ ملك ابنته عصر جديدا يظهر أن الحسنات فيه تكون أكثر جّدا من السيئات و من يدري لعله يكون خيرا كله"[1].

نستنتج من هذا النص أن طه حسين يحاول أن يعالج عدة قضايا إصلاحية غي المجتمع العربي بمصر منها:

السخرية من الشعوب التي تفرط في حقها في الحرية بأنواعها و الوعي و المعرفة .
حرية المرأة و توليها سياسة الأمور و مساومتها بالرجل .

يطرح طه حسين مشكلة "حرية المرأة "و توليها الحكم في سنة 1943عندما كانت الشعوب الإسلامية تشك في تولي الرجال حكم بلدانهم حيث كانت واضحة تحت نيران الإستعمار بكل أنواعه (الإنجليزي و الفرنسي و الإيطالي...).

هي رواية سخرية سياسية إصلاحية تصور نموذجا من الحياة السياسية الملكية و هذا التصوير و هذا الوصف لي ليسا خاصين بدولة أو مملكة بعينها و إنما تكشف الرواية و أحداثها عن سوء معاملة الملوك لرعاياها ،و سوء تدبيرها لشؤون البلاد فيأخذ طه حسين على

---

[1] - د.طه وادي ،صورة المرأة في الرواية العربية ، دار المعارف بالقاهرة ،ط1980/2.ص:196.

نفسه أن يقدم دروسا في حسن التدبير السياسي و في حسن المعاملة و يقدم اهم نموذجا في نظام الملك في حكم البلاد وتسير شؤون الدولة.

أحلام شهرزاد:

عدد الأحلام :14حلما ،يعرضها طه حسين بعد الألف ،وذلك لإطالة هذه الأحلام التي هي أحلام حقيقية لا لشهرزاد و إنما لشعوب بأملها.فالعدد 14 يرمز إلى انتصار الفرنسيين على الباستيل أثناء الثورة الفرنسية فهو يوم نصر و يوم ظفر للشعب الفرنسي في 14جويلية 1789.

و يختم حسين روايته و حديثه مؤكدا ما ذهبنا إليه من توضيح هذه الرموز فهو بإنتمائه من الحلم 14،و بعد تفسيره لمبدأ الديمقراطية التي أحرزها شعوب الجن –الشعوب الفرنسية- بعد ثورتها و استحكمت مكاسبها يقول على لسان شهرزاد:" و أقامت شعوب الجّن يا مولاي لهذا الحدث أعيادا رائعة ، و أرخت به منذ كان و مازلت تؤرخ إلى الأن..."[1] .و يستمرفي حديثه مصرحا بتأثره و تأثر كل الشعوب المتعطشة إلى الحرية بمبادئ الثورة الفرنسية :" و جعل الجّن يتنزلون ببعضه إلى الإنس بين حين و حين ،فيفهم الناس عنهم ذلك حينا و يخطئون الفهم في أكثر الأحيان .و هذا ما نرى عند الناس عنهم ذلك حينا و يخطئون الفهم في أكثر الأحيان ."[2]

أما الأحلام فهي أحلام الشعوب المتخلفة التي تصبو إلى التقدم و الرّقي ، و لكن الكاتب لا يقتصر على رقم :14لأنه لا يدل على طول الحلم و لا يدل على ضخامته ما يصبو إليه الشعب من التطور و ل÷ذا يقول 14 بعد الألف ليزيد من عظمة ما يحلم به هؤلاء و ليوسع الهوة الموجودة بين الشعوب العربية المتخلفة –في ذلك الوقت1942- و بين الشعوب المتقدمة

---

[1]- طه حسين أحلام شهرزاد ،ص:142.

[2]- المصدر السابق،ص:142.

على رأسها فرنسا –و هذه الأحلام ليست لشهرزاد و حدها و إنما ترمز شهرزاد إلى الشعوب العربية و الإسلامية بحكم انتمائها إلى ألف ليلة و ليلة و علاقتها الوطيدة بالجنس العربي الإسلامي .إذا فالأحلام أحلامنا جميعا بالعلم و التطور.

مملكة الجّن:

أو ممالكمه ، فهي ترمز إلى –بلاد الجّن و الملائكة –فرنسا – كما يطلق عليها طه حسين في روايته "أيب" ، وهو يقدمها لنا نموذجا –في الرواية- يحتذى به في كل مجالات الحياة مثل نظام الحكم و التعليم و العلم و الحرية و الديمقراطية الخ...

و يعالج طه حسين عدة قضايا اجتماعية في روايته هذه فيطرحها و يلح في الطرح يقدم البديل عندما يعالج مثل هذه المواضيع ، ومن الأفكار و المبادئ التي يتعرض لها نجد:

حرية الشخصية و السياسية .

الديمقراطية و مشاركة الشعوب في نظام الحكم.

حقوق الإنسان و الشعب.

حقوق المرأة.

المساواة.

السلم و الصلح و العدالة (الأخوة) ،و نبذ الحرب.

حق التعليم.

العلم و العقلنة و التفكير الحر.

هذه المبادئ هي التي دعت إليها الثورة الفرنسية ،و هي التي أقامت على أساسها.

الحرية :

فالحرية هي من بين المبادئ الهامة التي نادت بها الثورة الفرنسية و تعتبر مكسبا من مكاسبها و كان العميد قد اطلع على هذه المبادئ بفرنسا بل كان قد عاشها أثناء إقامته ببلد الجّن و الملائكة و الظاهر أنها أثرت فيه كثيرا مما جعله يطرحها و يعاجها في أغلب أعماله الابداعية و النقدية معا حتى في كتاباته الصحفية.

و يفرق طه حسين بين المبادئ التي نادت بها الثورة الفرنسية و تعتبر مكسبا مكاسبها و كان العميد قد اطلع على هذه المبادئ بفرنسا بل كان قد عاشها أثناء إقامته ببلد الجّن والملائكة و الظاهر أنها أثرت فيه كثيرا مما جعله يطرحها و يعالجها في أغلب أعماله الابداعبة و النقدية معا و حتى في كتاباته الصحفية.

إن طه حسين يفرق –في أحلام شهرزاد- بين الحرية الفردية و الحرية السياسية بحيث يظهر الفصل بينهما في عدة مواقف تتعرض لها الشخصيات في الرواية خاصة عندما يتستر و رائها الكاتب انشر الأفكار التي خلا منها المجتمع العربي الإسلامي في مصروف غيرها من الوطن العربي فيحاول إظهارها من خلال أحداث ثانوية يساهم بعضها في إنماء الحدث الرئيسي للرواية و يبعد بعضها الآخر كل البعد عن ذلك إلا أن الكاتب ماض في معالجة قضايا فيصوغ مبادئه في قالب سردي تقريري يتضمنه خطاب سياسي اجتماعي انبرت له شخصية – شهرزاد – في واقع الرواية و شخصيته – فاتنة ملكة الجّن- في الأحلام.

على ملابسة الواقع ، كما أن تحصيل لا يزال طاغيا فيها على الفهم..."

يقول طه حسين عن فاتنة فى تقديم بطاقة تعريف عنها على لسان شهرزاد :"...فتاة حسناء رائعة الحسن بارعة الجمال ،لا تثبت القلوب للحظاتها إذا نظرت ، و لا تثبت النفوس أصواتها إذا تكلمت ، وكانت على حسنها الراصع و جمالها البارع ذكية القلب نافذة البصيرة قد قرأت

كتب الأولين و عرفت حكمة المحدثين فلم شيء يستغلق عليها ، و لم يكن حكيم يثبت لحديثها أو يقدر على مناظرتها"[1].

فهذه هي "فاتنة"كما يصورها طه حسين بلسان "شهرزاد " و كأنه يصور صورة أمة متحضرة بكامل ، و خاصة عندما تتلاحق أوصافه لها خلال أحداث الرواية.

أما شخصية شهرزاد فيغلب عليها الطابع العاطفي و يغمرها الحب و الحنان من جوانبها مما يؤكد لدينا أنها ترمز إلى الأمة العربية الإسلامية .يقول محمد مندور:" فالشرقيون عاطفيون كثيرا ما تنشر مشاعر الجذب و النفور على تفكيرهم ضبابا قد يعمي معالم الحق وفي كثير،إن لم يكن في كافة البلاد العربية لم تستقم بعد نظّم التعليم بحيث تسفر عن عقل مكون يحتاط في التأكيد و يحرص على ملابسة الواقع ، كما أن تحصيل لا يزال طاغيا فيها على الفهم..."[2].

فهذه هي النماذج من الشخصيات الرواية الزاهدة التي جعلها طه حسين تتبري للدعوة إلى الأفكار التي تأثر بها و المبادئ التي لا يتوانى في يتوانى في الترويج لها بكل ما أوتي من أساليب ، على سبيل المثال ، أسلوب السخرية ل الناقدة لتجسيد الحرية السياسية لكل شعب من ، و لهذا الشعوب يجعل الكاتب –شخصية فاتنة- ملكة الجّن – تبرر موقفها لدفع الشعوب إلى غمار الحرب هذه الحرب التي لا داعي لها إلا الهواء والميول الشخصية ،و لكنها تتحدث عن الشعب بأسلوب ساخر هزلي كاريكاتوري كأن طه حسين يتكلم بلسانها و يوجه حديثه لأمته الغافلة النائمة التي لا تطالب بحقوقها بل و غالبا ما تستجيب و بسرعة لأهواء الملوك كأنه يحرض شعبه و يحاول استنفاره لرفض التدخل في أمور الحرب خاصة .

أثر الثورة الفرنسية :

[1] - طه حسين أحلام شهرزاد ،ص:16.

[2]- محمد مندور ، النقد المنهجي عند العرب ،دار نهضة مصر ،القاهرةلا.ت،ص:392.

واضح جدا أن طه حسين قد تأثر بمبادئ الثورة الفرنسية ، فأراد أن ينقل هذه المبادئ إلى شعبه الذييعاني من الفقر المعرفي ، و يعاني من فقر الحقوق المدنية ،على راسها "الحرية " بأنواعها ويظهر من خلال النص انه يطالب بالحرية السياسية التي تعتبر ركيزة اساسية في مبادئ الثورة الفرنسية ،ولم ينفرد العميد بهذا المطلب وانما سبقه اليه الطهطاوي وخير الدين التونسي و فرانسيس مراش والشدياق [1] .وليس هذا فحسب وإنما يستــمر طه حســين في انمـــاء الحديث وتطويره بمشاركة كل الشـــخصيات فهو الملك طهمان بن زهمان والد "فاتنة "يستأنف الحديث متعرضا الى الحرية السياسية بل الى الديمقراطية الحـقة بمشاركة الرعية في نظام الحكم وفي تسيير أمور الدولة ،يقول طه حسين على لسان المـــــلك لابـــنته : "...ما الذي يمكننا نشعر الرعية بنفسها ونبصرها بحقها كما أبصرناها بواجبها ومهيئها لا اقول لتستأثر من دوننا بالأمر ،ولكن لتشاركنا في الأمر وتعنينا على احتمال أعبائه الثقال ؟"[2].

و من الحوار الذي جرى بين الملك الجن و ابنتيه يتبين لنا أن التغير في نظام الحكم الملك قد بدأ مفعوله و قد بدأت الديمقراطية تؤتي أكلها حيث تجيب "فاتنة"والدها عن كلامه هذا متعرضا إلى أثر العلوم و العلم و العليم في شخصية الشعوب و ترقيتها إلى مضاف مسيرة الدولة :"...ومن أجل ذلك رفعت إليك بعض النابهين من الدهماء فكلفتهم ما كلفتهم من أعمال الدولة و قد كانت أعمال الدولة مقصورة عل ى أفراد أسرتنا"[3].و هذا لا يعني أن الحرؤية و الديمقراطية و تغير نظام الملك قد أتت عن طريق الكلام و الحديث و دون أدنى غناء، و إنما جاءت بعد تضحيات جسام ،و أرهقت دونها أرواح لا تحصى و هتفت بها عاليا أصوات لطالما خنقت فكانت التتويج بالإنتصار العظيم للثورة الفرنسية التي هي مرجع طه حسين و هذا لا يعني أن كل الأصوات المعارضة قد خمدت و لكن بعضها لا يزال يحن الى العهود

[1] - سابايار،الرحالون العرب و الحضارة العربية ،ص،30-40.و الطهطاوي،تلخيص الإبريز ص:160-167 ص:70-75.
[2] - طه حسين،أحلام شهرزاد ،ص:66.
[3] - المصدر السابق،ص:16-67.

الغابرة عهود الإقطاع و الإرستقراطية الطاغية ، تقول "فاتنة "مستمرة في حديثها السابق :"...و من أجل ذلك عرضت نفسك لسخط الأمراء و كيد الشيوخ من رؤساء العشائر..."[1].

إذا فالديمقراطية لا بد لها من ثمن ، و الحرية بأنواعها لا بد لها من تضحية و النداء موجه إلى الشعوب العربية الإسلامية النائمة-1943- يقول :استيقظ أيها الشعب تحرك فلن تنال حريتك بدون تضحية و لن ترتقى إلى الديمقراطية بدون ثمن .

فإن كانت الرواية لم توفق فنيا في صياغة كل الأحداث الثانوية لخدمة الحدث العام الرئيسي فإن الكاتب قد وفق في طرح مشكلة الديمقراطية و معالجتها حسب ما يقتضيه قانون التدرج ، حيث رافقتنا خلال صفحات الرواية كلها متطورة شيئا فشيئا إلى أن تختم شهرزاد أو يختم طه حسين كلامه و حديثه بأسلوب تكاد تغلب عليه الصبغة التقريرية في معالجة أهم قضايا الشعب الاجتماعية .تقول :"و تم كل شيء يا مولاي كما أرادت الملكة و رُدت إلى الشعوب الأخرى بأن أمور الأمم إليها شُرك فيها من الملوك و الرؤساء من تشاء و كيف تشاء ،و تقيد ملوكها و رؤساءها من القوانين بما تحب و تشرف عن إنفاذ ملوكها ورؤساها لإنفاذ هذه القوانين ، و تتخفف عن الملوك و الرؤساء إن خالفوا عن هذه القوانين"[2].

مطالب طه حسين و تكافؤها الفرص :يقول د.محمد حسن الزيات :"...تحدث "طه حسين" عن تكافؤ الفرص ،و المعنى جديد لم تألفه الأسماع ،و كافح لمجانية التعليم و تعميمه ، و كان العلم و قفا على العّلة الممتازة ، وصرخ يطلب العدالة الاجتماعية و المجتمع العربي مجتمع طبقات و امتياز و تحدث قبل أن يتحدث الناس عن حق الشعب لا في العيش الكريم فقبل في كل ما تقوم الحياة الكاملة عليه من حرية و مساواة و من تحضر و علم وثقافة لقد خاطب "طه حسين"في كتابه "الأيام "ابنته أمينة فقال :"إن أباك يبذل من الجهد ما يملك و ما لا يملك و يتكلف من المشقة ما يطيق و ما لا يطيق ، ليجنبك حياته عندما كان صبيا ".و ما كان "طه

---

[1] - المصدر السابق ،ص:67.

[2] - المصدر السابق ،ص:142؟141.

حسين "يتحدث إلى ابنته و حدها بهذا الحديث لقد كان يتحدث إلى كل بنت من بنات مصر لا بل من بنات الوطن العربي أراد لهن حياة غير حياة أمهاتهن في آخر القرن التاسع عشر ، و عمل ليبلغ ما أراد و لم يهدأ حتى حقق على هذا الطريق خطى واسعة ..."[1].

و كما كان طه حسين ليتحدث عن الحقوق المشروعة للشعب و مجانية التعليم و تكافؤ الفرص لولا ما حققته مبادئ الثورة الفرنسية ،و لولا احتكاكه بالمجتمع الفرنسي عن قرب و من الداخل لما عرف كل ذلك و طالب به.

إن التعليم المجاني و ضمان الصحة للمواطن و الحرية و المساواة مبادئ كلها مضمنة فقي وثيقة الثورة الفرنسية و كل نادى بها طه حسين في روايته "أحلام شهرزاد" وإن جاءت في قالب أدبي عجيب شيق لا يلفت إليه ؟أنظار القصر في ذلك الزمن .

[1] - د.محمد حسن الزيات ،كلمة الأسرة ،ذكرى طه حسين ،الهيئة العامة ،القاهرة ،ط1977،ص:304.

الخاتمـــة

الخـــــاتمـــة:

مما لا شك فيه انه طه حسين قد انبهر بالحضارة اليونانية و الرومان الخالدة أمام حضارتها و أثارها فإنه ليس وحيدا لأن العالم كله يشاطره هذا الانبهار، إن الحضارة اليونانية قد بنيت على أسس عصرية متطورة جدا منها مثلا الديمقراطية و الحرية و تطور الأجناس الشعرية كلها خدمة للأمة و منها الشعر و المسرح ثم الفلسفة الشيء الذي نلاحظه أن الحضارات العتيقة كلها عرفت مرحلة متطورة جدا كان فيها الشعر فيها سيدا و كان يحفظ و يروى شفويا ثم دون مثله في ذلك مثل الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام فقد كان يروى و يحفظ شفويا و ما حماد الرواية و خلف الرواية و خلف الأحمر و أبو عمرو بن العلاء و يونس بن حبيب و الأصمعي و المفضل و غيرهم إلا رواة لهذا الشعر و الرواية الشفوية كانت راقية موثقة و مرحلة هوميروس تشبه في كثير من الجوانب مرحلة الشعراء العرب في عصر ما قبل الإسلام و قد عرف الشعر اليوناني الانتحال أيضا و لكن الذي يشد الانتباه هو تطور هذا الشعر من حيث المبنى و المعنى و الوظيفة فقد ألف الشعراء اليونان و الرومان قصائد شعرية في خدمة السلطة و الأمة و مساعدتها على الحياة كقصائد الرعوية و قصائد الحقول و الحسابات الفلكية و الأحوال الجوية و الإضطربات الطبيعية كان هدفا تعليميا إصلاحيا و سياسيا و الشعر هو الذي أعطى للسلطة الرومانية شرعيتها حين أثبت الشعراء نسبه إلى إلياذة اليوناني البطل طروادة كما فعل فرجيل في إلياذته ثم جاء أكتافيوس فطلب من الشعراء عامة شعراء تعليميا و اصطلاحيا.

نستطيع القول إن التأثير والتأثر المتبادلين، بين الآداب المختلفة، أمر حتمي بحيث لا نستطيع الزعم بأن أدباً حديثاً، مهما بلغت أصالته وعراقته، يخلو من التأثر بآداب أخرى غريبة عليه . وبقدر ما ينفتح أدب قومي على الآداب العالمية الأخرى، بقدر ما تتسع آفاقه، وتتعمق جذوره، ويكفي أن نذكر أن العصر الذهبي بالنسبة إلى أدبنا العربي، كان العصر العباسي، حيث ترجمت الكثير من الآثار الأدبية والفكرية الفارسية والهندية واليونانية إلى لغتنا العربية، وحيث ترجمت مؤلفات الفيلسوف اليوناني أرسطو (384-322) قبل الميلاد إلى لغتنا العربية، التي قامت بحفظ هذه المؤلفات من الضياع، إذ ففي في مرحلةٍ معينةٍ أصلها اليوناني.

إن عميد الأدب العربي له ظاهرة أدبية و ثقافية تحتاج إلى مزيد من الدراسة و البحث و يعتبر واحدا من عمالقة الأدب العربي الحديث كان يتقن اللغة العربية اتقانا لا مثيل له يميزه عن غيره من حيث أسلوبه الفصيح كذلك كان قد حفظ القرآن الكريم و هو لا يتجاوز التاسعة من عمره كذلك إتقانه للغة الفرنسية مما أهله للحصول على شهادة الباكالوريا و شهادة الليسانس في التاريخ من فرنسا و باللغة الفرنسية و لتحضير رسالتين في التاريخ و علم الاجتماع وبالإضافة إلى حضوره الدائم بالملتقيات و المؤتمرات بأوربا عامة و بفرنسا خاصة حيث تعرف على كثير من الأدباء و الفلاسفة و كان كذلك مترجما نتيجة احتكاكه بالمستشرقين .

إن الحديث عن هذا الرجل لا يعطيه حقه لأنه لم يتأثر بالأدب الفرنسي فحسب بل انبهر بالفكر الفرنسي و الأوربي عامة لأنه لم يتوان عن تذكيرنا بالاحتذاء النموذج الفرنسي في الاجتماع و السياسة و لاحرج من ذلك .

و كذلك نجد أن تأثــر الأدب العربي بالغرب وحاول العرب تجديــد المناهج النقدية الأدبية عن طريق اتصالهــم الوثيق بالثقافة الغربية وبعد هذا الاتصال أدركوا أن للنقد أصولا وقواعد فنية فأدخلوا تلك القواعد والفنون إلي الأدب العربي ونقده. تأثر أكبر مدرســة نقدية وهي النقد الأدبى العربى المعاصر و تأثره بالمناهج مدرســة الديوان بالأدب الأوربي المعاصر وقد نبــع تيار النقد العربي الحديث من النقد الغربي وقد أحدث هذا التيار أثرا كبيرا في الشعر العربي وحركة التجديد للشعر العربي .إن الــرواد من النقاد العرب في اتصالهم بالثقافة الأوربية لم يغفلوا عن القيم الثقافية العربية وبذلــوا جهودهم في تطوير هذا التراث ولم ينفصلوا من القديم تاما. إن القاعدة الأساســية للســير بهذا النقد في الاتجاه الصحيح موجودة وذلك بفضل جيل الرواد من النقــاد العرب في العصر الحديث الذين جمعوا بين الأصالة والمعاصرة. وهذه التطويرات من أجل تطور منهج نقدي عربي ولن يكتب لهذا المنهج النجاح إلا إذا جمع بين التراث العربي الأدبي والمناهج النقدية الحديثة .

و في الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت و أسأل الله العون و السداد و الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

القـــرآن الكريـــــم

مصادر ومراجع باللغة العربية

1-امين احمد وزكي نجيب محمود ،قصة الأدب في العلم ،قصة الأدب في العلم ،طبعة القاهرة 1945 انيس،عبد العظيم ،علماء وأدباء ومفكرون ،مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت،ط1983/1

2-الجمحي محمد بن سلامة ،طبقات الشعراء،اعداد اللجنة الجامعية للنشر التراث العربي ،دار النهضة العربية بيروت ،(لا.ت).

3-الجندي أنور،الفكر والثقافة المعاصرة في شمال ايفريقيا ،الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة ،مصر (د.ت ط).

4-الجندي انور ،طه حسين ،حياته وفكره في ميزان الإسلام ،دار بوسلامة للطباعة والنشر،تونس ،ط2 /1985 ابراهيم تفوسة زكرياء ،تاريخ الدعوة الى العامية واثارها في مصر ،دار المعارف بالقاهرة ،ط/64 .

5-البهي محمد،الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، دارالفكر،بيروت ط1973/6.

6-التو نجي محمد، الآداب المقارنة، ط4 ، دار الجيل، بيروت، لبنان،1995.

7- الجاحظ،الحيوان،ج1،تحقيق،عبد السلام هارون ،دار إحياء التراث العربي،بيروت،1969.

8-جمعة بديع محمد، دراسات في الأدب المقارن، ط7 ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1980.

9- الجندي أنور، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر،(د.ت.ط.).

10-حسين طه، نقد وإصلاح، دار العلم للملايين، ط4 ، بيروت، لبنان، 1982.

- الأيام ،دار المعارف بالقاهرة ،ط1994،10.
- تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملايين بيروت ،ط1976/2.
- مستقبل الثقافة في مصر ،دار المعارف بالقاهرة ،ط1993/3.
- أحاديث ،دار العلم للملاين ،بيروت ط1980/9.
- من أدب التمثيل الغربي،دار العلم للملاين ،ط1985/8.
- في الأدب الجاهلي ،دار المعارف ، بالقاهرة،ط1981/4.
- الأيام ،دار المعارف ، القاهرة 1991.
- ألوات ،دار المعارف بالقاهرة ،ط1981/6.
- شوقي و حافظ،علم الأدب المجموعة الكاملة ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ط1983/2.
- ما وراء النهر ،دار المعارف بالقاهرة ،ط1986/4.
- من تاريخ الأدب العربي ،دار العلم للملاين ،بيروت ،الطبعة الثالثة سنة 1980.
- من بعيد ،دار العلم للملاين بيروت،ط1982/9.
- أحلام شهرزاد ،رواية ،دار المعارف بالقاهرة ،ط1994/8.
- أحاديث، دار العلم للملاين ،بيروت ،ط1980/9.

11-حزم ،ابن ، الأندلسي :طوق الحمامة ،فب الألفة و الألاف،دار المعارف بالقاهرة ،سنة 1986.

12-الخطيب حسام ،محاضرات في تطور الأدب الأوروبي .

13-زيدان جورجي ،تاريخ آداب اللغة العربية ،دار العلم للملاين ،بيروت،1978.

14-سلوم داود،الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية،الطبعة الأولى،1323-2003.

15-عبود عبده، الأدب المقارن مشكلات آفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،سوريا 1999.

16 -العشماوي محمد زكي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان1983.

17-علوش سعيد، إشكالية التيارات التأثيرات الأدبية في الوطن العربي دراسة مقارنة ،ط4 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

18- غنيمي هلال محمد، الأدب المقارن، ط1 ، دار العودة، بيروت، لبنان،1983.

19-كفافي محمد عبد السلام، في الأدب المقارن – دراسات في نظرية الأدب الشعر القصصي، دار النهضة العربية للطباعة النشر، بيروت، لبنان،1971.

20–كثير ،ابن ،قصص الأنبياء ،طبعة الجزائر ،سنة 1981.

21–كريم سامح ،معارك طه حسين.

22-مكي الطاهر أحمد، الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه، ط1 ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002.

المراجع المترجمة:

23- بابيه ألبير ،تاريخ إعلان حقوق الإنسان ،ترجمة:محمد مندور.

24- برين جون،كتابة الرواية ،ترجمة:مجيد ياسين،مراجعة: مدحي الدوري ،دار الشؤون الثقافية،بغداد،1993.

25- برونيل بير،بيشوا كلود،روسو أندريه ميشيل ،ما الأدب المقارن.؟ترجمة السيد غسان منشورات دار علاء الدين ،دمشق،سوريا (د،ت،ط).

26- باجو دانيال هنري الأدب العام و المقارن ترجمة السيد غسان ،منشورات اتحاد المتاب العرب دمشق سوريال 1997.

27- غويار ماريوس فرانسوا الأدب المقارن ،ترجمة:زغيب هنري ،منشورات عويدات بيروت لبنان 1978.

28- فان تيغم بول ، الأدب المقارن ترجمة الحسامي مصباح ،منشورات المكتبة المصرية صيدا بيروت ،لبنان (د، ت،ط).

29- واين (أوستين)ويليك(رينيه)نظرية الأدب ترجمة:صبحي محي الدين ،مراجعة الخطيب حسام ،ط2 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،بيروت،لبنان 1981 .

المصادر و المراجع بالأجنبية:

-Alain, stendhal,ed,P .U.F.paris.1959.30

- Colet, Henri :le Roman Jusqu’ a la Revolution,ed.A.colin,Paris31
1967.

-Dictionnaire petit robert SNC ?Paris,1981.32

-Hautmont Emile, la culture française en Russie (1700-33 1900),2em Ed paris,1913.

-Rêne, Girard, Mensonge, romantique et vérité Romanesque, 43 Ed Bénarde Grasset Collect,pluriel,paris,1961.

الرسائل و المخطوطات العربية:

35- صغور أحلام، واقع الدراسات المقارنة في المغرب العربي، إشراف د.شريفي عبد الواحد جامعة و هران ، السنة الجامعية 2008-2009(أطروحة الدكتوراه).

المعاجم و الموسوعات العربية :

36- ابن منظور، لسان العرب، ط1 ، مجلد4 ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2005.

37- ابن منظور،لسان العرب ،المجلد 12،دار صادر،بيروت،ط1 ،1990 .

38- الفيروز أبادي، القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة ،ط2، بيروت 1987.

39- سميح عاطف الزين، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ط1 ، الدار الإفريقية العربية، بيروت، لبنان، 2001.

40- الموسوعة العربية العالمية ،ط2 ،مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

فهرس المواضيع